الحضارة والحرية

بقلم اميل توفيق



طبيعة الانسان طبيعة مزدوجة . فشقها الاول محدود بتركيبه البيولوجي النفسي ووظائف هذا التركيب. وشقها الاخر تكونه الاحداث التاريخية غير المحدودة ، وهو الذي يكون شخصية الانسان الحضارية . فالطبيعة الاولى يمكن تسميتها الطبيعة (البيونفسية) [١] ، والثانية هي الطبيعة (الحضارية) [٢] . وهاتان الطبيعتان تصوغان اسلوب السلوك الانساني ، وهذا الاسلوب هو الذي يعين حرية الانسان وارادته وعزمه . ويمكن الانسان ان يختار بين جملة اتجاهات حضارية توافق طبيعته البيونفسية . واية حضارة انما تمثل اتجاها معينا من هذه الاتجاهات ، ويمكنا ان نفرق بين ثلاثة مستويات للحرية الانسانية : المستوى البيونفسي ، والمستوى الحضاري ، والمستوى الخلقي او المعياري [٣] .

وقد عبر لوك وهوبز وسبينوزا وروسو عن الحرية . وكانوا يعنون بها انها الحالة المطابقة لفعل او نشاط الانسان البيونفسي . ولما كان هذا المستوى يعني ان الانسان حر في تحقيق رغباته وحاجاته فقد ذكر روسو ان الانسان قد ولد حرا ، اي ان لهالحق فى التفاعل الفطري معالبيئة الجغرافية والاجتماعية . فالطبيعة الانسانية من هذه الوجهة محدودة بحدود الشروط البيونفسية فى تفاعلها مع البيئةالجغرافية والاجتماعية ـ والحرية البيونفسية تتكيف وفق هذا التفاعل اي وفق امكانياته والشروط البيئية .

ولكن الانسان ينمي قواه النشاطية فى اطار الظروف الحضارية الاجتماعية [٤] فهذه الظروف تتوسط الطبيعة البيونفسية ـ ولما كانت الحضارات تختلف وتتمايز فلذلك يختلف السلوك من مجتمع الى اخر . وكذلك تعكس الحضارة تأثيرها على الحرية البيونفسية ، ففي اقليم الغابات مثلا يحتاج المرء الى تقوية عضلاته ، فى حين انه لا يحتاج الى مثل هذا فى اجواء البيئات المدنية .

ولان الحرية البيونفسية للانسان تتأثر بالظروف الحضارية والتاريخية ، فالانسان اكثر الكائنات قابلية للتكيف مع هذه الظروف من اي كائن حيواني اخر . ان الحضارة ، كما عبر ماليناوسكي ، توسع افق الانسان بفضل الاختراعات التي تزيد من اساليب النشاط ومن الانتاج ومن السيطرة على قوى الطبيعة لاشباع الحاجات والرغبات ، فالطائرة والراديو والتلفزيون قد وسعت دوائر الاتصال فضلا عن الوسائل الحضارية المعروفة . وقد اصبح الفرد بفضل التقدم العلمي والكشوف والمخترعات الحديثة ـ وبفضل تقسيم العمل ، قادرا على ان يمارس فى مجتمعه حرياته النشاطية بحيث امكن ان يتحرر من كثير من الاعباء العلمية الكثيرة .

ولكن الحضارة كذلك تحدد حرية المرء أيضا ، ومن هذه القيود نظم الزواج ، والحضارات تختلف من حيث هذه النظم والقيود والسدود الاجتماعية . ومن الملاحظ دائما ان هناك توترا بين الحرية الطبيعية والحرية الحضارية ، فى كل عصر من العصور ، وهو التوتر الذي عبر عنه فرويد بأنه عبء المدنية الذي تنتج عنه الانفعالات العدوانية ، والذي يولد الصراع فى المجتمع .

واخيرا يوجد نوع الحرية المسماة بالحرية الخلقية [٥] او الحرية المعيارية[٦] اي نشاط المرء فى أطار المثل العليا ومعايير السلوك الانساني ، فهي تعرف بأنها السلوك وفق افكار ومثل رشيدة للانسان فى مجتمعه . وهذه الحرية تفترض معرفة سوية لطبيعة الانسان ، ولنوع السلوك الذي يتوافق مع المقتضيات المثالية الحتمية للمثل الرشيدة العليا، وما يستهدفه من غايات ، وما يزنه من قيم. فالحرية المعيارية ، نسبة الى المعايير ، اضيق بكثير من الحرية البيونفسية اذ ان الحرية المعيارية تقع فى مستوى يدرك بالعقل والمنطق ـ وهي على رغم أنها من وحي الحضارة والخبرة ، لا تستمد منها مباشرة لانها ـ اي الحرية الخلقية ـ مثال للكمال الفردي وللعدالة الاجتماعية التي لا يدركها الا انسان مثقف متحضر .

ويأتي المثل الاعلى الخلقي بعد هضم المرء للاساليب الحضارية وممارسته وفهمه لنواحي النشاط الحضاري ، ولذلك فالمثل الاعلى الخلقي يوصف بأنه فى مستوى ما بعد الحضارة [٧] لان هذا المثل يؤدي الى المعايير التي تنظم اساليب الحضارة ، وترتب هذه الاساليب من حيث القيم وتزن نواحي النشاط الانساني بحيثتقدم ناحية ما وتؤخر أخرى وفق الاهميةومقتضيات الظروف الانسانيةومقابلتها لرغبات الانسان وغاياته ، فالحرية الخلقيةاو المعيارية لا تستمد كاملة من اية حضارة تاريخية . ففي مضمونها تفهم وتعقل والهام فكري امد الفلاسفة على مر العصور بالافكار المشرقة وبالاحلام المثالية عن المعيشة فى المدن السعيدة [٨] وهو الالهام الذي جعلهم يفترضون قانونا للطبيعة لتقييم السلوك الحضاري ـ وقد كان ذلك القانون فى نظر ارسطاليس فرضا خلقيا اتخذ معيارا لقياس قيمة السلوك الانساني فى علاقته بالدولة السياسية .

ومن الناحية النظرية نقول ان الحرية الانسانية قد مرت فى تطورها فى ثلاث مراحل ونعني بذلك من البيونفسية الى الحضارية الى المعيارية .

واذا تصورنا ، كما تصور بعض الفلاسفة ، ان الحرية الطبيعية مرادفة لوجود حالة من الفوضى ، امكنا ان ندرك الوظيفة التي قامت بها الدولة السياسية والدور الذي اداه المجتمع فى سبيل الانتقال من حالة الفوضى الى حالة المدنية (الحضارة) . ومع ذلك فان الانتقال او التطور من

الحرية الطبيعية الى الحرية الحضارية ليس معناه ابدا مقابلة جميع الرغبات البيونفسية وجميع الحاجات بلا ضابط او بلا نظام . فكلما تعقدت النظم الحضارية كلما قلت حريات الفرد ونشاطه والفرص التي فيها يظهر هذا النشاط فى المجتمع . وعلى ذلك فالحضارة الاجتماعية من اثرها ان تسلب الفرد اكثر مما تعطيه او تمنحه ، وفى هذا المعنى بالذات دعا روسو الفرد الى ان يكون حرا لانه ولد حرا ، ودعاه للعوده الى الطبيعة (٩) ، والواقع ان روسو ، ومن ياخذ رايه ، لا يعنى بالعودة للطبيعة ان يدعو الناس الى الفوضى التي تفرضها حالة الحرية الطبيعية . وانما هو يعني ان يصلح المجتمع ، وان يصلح الحضارة حتى تتطابق مع النظام المثالي الذي ننتظره ونتوقعه من تقدم الامكانيات الانسانية ، فالواقع ان هذه النظرة تعني الدعوة الى حرية خلقية، وهي حرية لها طابع موجب وطابع سالب، فهي موجبة من حيث انها تؤكد رغبة الفرد فى توسيع افق حريته للتعبير عن فكرة الخير فى المجتمع ، وهي سالبة من حيث انها تدعو للتحرر من مثالب الحضارة ومن اغلالها ومن سيئاتها .

ان كل الدعاوى المثالية (اليوتوبيات) سواء كانت دينية او مدنية انما جاءت نتيجة لتصور مثال لحياة السماء على الارض (وهذا المثال قد يكون مستمدا من الدين او من منطق التاريخ) ،فهي على اية حال استنتاجات حضارية(١٠) تسمو بل تفوق الحضارات التاريخية .

ذلك لان كل « مثالية » تفترض ان الانسان ليس ناتجا حتميا لحضارته اي ليس واقعا تحت تأثير « جبري » للحضارة السائدة (كما يعتقد بعض الانتربولوجيين الحديثين) ، بل انها تجعل الانسان هو المبدع والمؤلف والمنتج للنظم الحضارية، ان الانسان هو الذي يخلق بعزمه، بل هو المسبب المباشر او الاهم للنظم والظروف الحضارية.

فوراء كل جبرية حضارية (١١) ، ووراء كل حرية تفرضها الحضارة ، هناك الناحية الفكرية الخالقة المبدعة بالفكر والخيال الانساني ، وهي التي فى مقدورها ان تبلور معايير مثالية ، فى ضوئها تنتظم الحياة فى المجتمع . فليس هناك جبرية الحضارة ما لم يكن هناك اناس جبروا انفسهم اولا على ان يبتكروا عمليات ونظما لكي ينظموا حياتهم ويحكموا انفسهم .

فقبلما تكون الحضارة حقيقة سامية ، او فوق عضوية(١٢) كما يسميها كروبير ، يجب ان تدرك اولا ، وان تخلق باناس تهمهم رغباتهم وتحقيق حاجياتهم وتنظيم تلك الرغبات والحاجات والمطامح . وصفوة القول ان وراء كل حرية حضارية ، وكل جبرية حضارية ، هناك حرية ما بعد الحضارة ، حرية معيارية بدونها لا تفهم معنى للحرية الانسانية فى اية حضارة انسانية .

رأي مالينوسكي فى الحرية

يعتقد العالم الانتربولوجي مالينوسكي ان الحرية هي ناتج الحضارة. والحرية لا يمكن ان تبحث خارج نطاقها . فكل حرية ـ لدى مالينوسكي ـ هي حرية حضارية، وهي حرية لا يمكن ان تتجزأ. وعلى ذلك فالحرية اساسيا حرية اجتماعية ، فليس هناك اذن حرية فردية . وهو يقول ان الحرية تعرف فى علاقات الناس الذين ينتظمهم المجتمع ويستمدون حياتهم من دوافع حضارية ، وقيم وادوات وآلات ونظم كالقانون والاقتصاد والسياسة . فالحرية فى عرفه هي منحة الحضارة .

وفى رايه ان حرية الحضارة تتضمن نوعين : حرية الطمانينة ، وحرية التقدم والانتعاش ، فالاولى تتضمن كل الاساليب الوقائية الخاصة بمعاش الانسان ، اما حرية التقدم والانتعاش فتتضمن زيادة الحرية فى استغلال قوى الانسان لمنابع البيئة وثرواتها . فهو بذلك يفرق بين الحرية البيونفسية والحرية الحضارية . ومالينوسكي يؤكد ـ بغير ابداء البرهان والحجة ـ بان الحرية الحضارية تمنح الانسان الاشباع الكامل لحاجاته . ولكن نظرته تبدو غير متفقة مع ما توحيه دراسة تاريخ الحضارات وهي التي تقرر انه ما من حضارة كان فى مقدورها ان تصل بالانسان الى الاشباع الكامل لحاجاته . حقيقة ان الحرية الانسانية يجب ان تفهم ، ان تعبر فى ضوء الحضارة ولكن ليس معنى ذلك انها منحة الحضارة .

ويبدو ان مالينوسكي لم يفرق بين الحرية المعيارية التي قد تقترب منها فى بعض النظم الحضارية ، وبين الحرية الواقعية او الحضارية التي تحققها معظم النظم . ان الحرية المعيارية تفوق الحريات الاخرى بل انها ترسم وتخطط طريق التقدم الحضاري . والحرية المعيارية تستخدم لقياس قيمة الحرية الحضارية ، فبقدر اقترابها تسمو وبقدر ابتعادها تنحدر . والظاهر أن مالينوسكي يستخدم فكرة الحربة فى المدنية ، بمعنى فرض مثالي على الانسانية ان تسعى لتحقيقه . وهو فى نفس الوقت يحدثنا كما لو كانت الحرية قد تحققت بالفعل فى مسار العمليات التطورية، فى طريق التقدم . ويمكنا ان نقول ان الحضارات السائدة انما تعطى اقساطا من هذه الحرية . ولكن الحرية المثالية بمعنى الاشباع غير المعوق للحاجات الانسانية ، ليست وظيفة او عملية حضارية ، ومن التضليل ان نتحدث عن الحرية كأنما هي منحة الحضارة .

ويبدو أن مالينوسكي قد ادرك ذلك فى اخر بحثه ، حين قال انه منذ بدء المدنية لا بد ان الحرية كانت هي الاساس الاولي لكل عمل بنائي يعمل على تقدم الحضارة . فهو اذن يؤمن ان الحضارة هي و ليدة الحرية فى بدء الانسانية ، وفى غضون تقدمها .

• 1) Psychobiologie 2) Cultural 3) Normative 4) Sociocultural 5) Moral 6) Normative freedom 7) Post cultural 8) Utopias 9) Back to Nature 10) Cultural constructs 11) Cultural determinism 12) Super-organic 13) Boas.

١٤)مرجع البحث Theoretical Anthropology by David Bidney

عندما افيق

بيننا جدول همس مترف النغمة حلو
يشرح الصمت الذي فى مقلتينا رف يلهو
مد ريشا فى دمي فالافق من حولي خلو
لم يعد للارض حد لم يعد للناس لغو
عالم شاطئه الاهداب ملء الوهم صحو

* * *

عدت فى مجمر آهاتي انساب وأهفو
عندما اغفو على زند جناحيك واسهو
ما عناق يعصر الاشواق ملء اللهو ، زهو
هم همي انني الموجود لا انسى فاصفو
ابدا فى رغباتي الخضر التج فاطفو

* * *

بعض ما تخبؤه عيناك ينجو بي فأسلو
نسمتان انسابتا نحن فلا مر وحلو

علي شلق

وعلى هذا فهو قد عكس فكرته عكسا تاما . اذ هو يعتبر الحرية هي شرط تقدم الحضارة ، وليس العكس . وربما كان مالينا وسكي (وقد كتب بحثه اثناء الحرب العالمية الثانية) قد ادرك فكرة الاحتفاظ بالديموقراطية والقيم الديموقراطية ضد الطغيان النفعي . ولكنه كانتروبولوجي حضاري اعتنق المبدا القائل ان الحضارة هي المادة الاولية لنمو الحرية الانسانية ، وانه لذلك لا حرية بلا حضارة وبلا سلطة حضارية . وان كل حرية فردية هي حرية زائفة . وهذه الفكرة تؤدي منطقيا الى الراي القائل بأن الانسان الذي يكون منسجما تماما مع حضارته، ويشعر انه متفق مع الحضارة السائدة ، هو انسان حر . (وهو ما لا يوافقه عليه العالم(١٣) لانه ينبغي ان نفرق هنا بين القيود الطبيعية،والقيود المفتعلةالتي تفرضها القوىالفاشمة) .

يبدو مالينا وسكي اذن متناقضا مع نفسه ، بهذين الرأيين المتناقضين وليس هناك ما يزيل ذلك التناقض غير فكرة واحدة ، هي الايمان بالديموقراطية من جهة ، وبحضارة عالمية من جهة اخرى . فهو فى الواقع ديموقراطي بطبيعته يؤمن بالحرية الفردية ، وهو كانسان مؤمن بالحضارة العالمية ، يبغي فرض تلك الحضارة كفاية انسانية .

القاهرة — اميل توفيق

الشيخ عبدالقادر المغربي

بقلم الدكتور عدنان الخطيب

دعا رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق (المجمع العلمي العربي) جمهرة من العلماء والادباء لحضور الجلسة التي عقدها المجمع فى اول كانون الاول ١٩٦٠ لاستقبال العضو الجديد الدكتور عدنان الخطيب الذي انتخب عضوا عاملا فى اجمع خلفا للفقيد الشيخ عبد القادر المغربي. وقد افتتح جلسة الاستقبال الامير مصطفى الشهابي رئيس المجمع واعلن ان الكلمة لامين سر المجمع الامير جعفر الحسني الذي القى خطاب الترحيب بالعضو الجديد معددا مزاياه مستشهدا لها ببعض اقوال شاعر العربية الفقيد محمد البزم ، ثم القى الدكتور الخطيب الخطاب المجمعي التقليدي متحدثا فيه عن حياة سلفه الشيخ عبد القادر المغربي وآثاره.

* * *

كلما تأثل المجد واستأصل ، كان احق بان يعتز به ويفاخر ، فاذا تماجدت دمشق كان هذا المجمع العظيم ، من مفاخرها الخالدة على الدهر ، الباقية ببقاء العربية ، ودمشق من العربية ، قلبها يخفق حبا ، ودماغها المفكر يشع نورا ، يهدي العرب سبيل العز والسؤدد ، وينير أمامهم الدرب الهادي الامين .

اني ما نظرت الى هذا الصرح الشامخ ، من صروح العربية فى نهضتها الحديثة ، الا وحنيت رأسي اجلالا لعظمته ، واكبارا لجهود بناته الابطال ، حتى اذا ما دعوتموني الى هذا اليوم المشهود ، اخذتني الهيبة من الوقوف امامكم، وتملكتني رهبة الانضمام الى صفوفكم ، رهبة يشعر بها من يصعد فى السماء .

سيدي الرئيس : الامير :

يخيل الي ان ليس بوسعي ان اوفيكم ، والزملاء المحترمين ، حق الشكر على ما اوليتموني من ثقة وتقدير، وشرف زمالتكم ، منتهى الشرف لمن يطلبه ، وغاية المجد لمن يطمح اليه ، فلكم الشكر خالصا ، من قلب مفعم بالتجلة والاحترام .

واسمحوا لي ان اخص بالشكر ، الزميل المحترم ، الذي تفضل واستقبلني ، فافاض علي من ادبه الجم ، وتهذيبه الرفيع، ثناء يجاوز ما استحقه،وثقة ارجو ان اكون اهلا لها.

اما شاعر العربية الكبير محمد البزم ، اول من اثل في نفوس الجيل الذي انا منه ، حب العربية ، وحب من يحبها ، وايقظ فى اعماقنا اباء العربي وحذره كجزء من الدفاع عن قوميته ، فكلمته التي استشهد بها الزميل الكريم ، كلمة استاذ يضم الى فضل المعلم الجليل ، فضل المشجع يدفع بتلميذه الى العلاء ، اجزل الله ثوابه ، بقدر ما احب العربية . وما بذل من جهدفى تعليمها والدفاع عنها.

وما انسى لا انسى فقيد المجمع العظيم ، الاستاذ الرئيس محمد كرد علي ، رائدا من رواد النهضة العربية المعاصرة ، ومعلما ، دفعني ذات يوم الى هذا المنبر ، فالقيت محاضرتي الاولى ، وما كنت ادري فى تلك اللحظة ، أنها كانت درجة من درجات سلم ، علوته فبلغني السماكين .

* * *

فى الثامن من شهر حزيران سنة تسععشرة وتسعمائة والف للميلاد ، انشيء فى دمشق ، عاصمة الدولة العربية فى بلاد الشام ، المجمع العلمي العربي وكان من اعضائه، شيخ فى العقد الخامس من عمره ، يكور عمامته تكويرا يميزها من عمائم اهل دمشق .

كان الشيخ ربعة فى الرجال ، حسن السمت ، جميل الطلعة ، حلو المحيا ، وجهه كصباح الربيع ، غض رطيب ، ابيض مشرب بحمرة ، تزينه لحية اقتصد فى ارسالها ، وخطها الشيب ، فاستكانت الى الشيب خليطا غير قنع.

وكان عالي الهمة ، دؤوبا على العمل ، تبدو الحيوية فى كل حركة من حركاته كما يبدو النشاط فى كل خطوة من خطواته ،يحب المشي رياضة يومية ، يغدو الى عمله ويروح ماشيا ، ويترك البيت كلما ضاق بما فى البيت من كتب مرصوصة ، واوراق مكدسة ، ليجد السلوى فى المشي بين بساتين الصالحية والربوة ، يستمتع بجمال مسالكها ودفء الشمس ينسل من اشجارها الظليلة ، يستنشق عبير الآس فى جنباتها ، وارج الريحان فى مغانيها ، وحيدا حينا ، ومع بعض من يصطفيهم من الخلان والاصدقاء حينا اخر ، وهو دائما يمشي خطاه الثابتة ، غير متوان ولا متخاذل .

كان الشيخ حاضر البديهة ، بحديث كانه قطع الروض، يحمل فى طياته النكتة البارعة ، والشاهد البليغ ، كأنما وعى عيون الاخبار وروائع الآثار . يحب معاشرة الناس ، عظيم الوفاء لمن صادق منهم ، كأنما حبه دين. لين العريكة، لطيف الشمائل مع صبر شديد على تحمل المكاره ، على انه مع ذلك كان عصبي المزاج ، يسرع الغضب اليه ، فيطير الشرر من عينيه ، وتتواثب الكلمات من شدقيه ، ولكنه يظل خفيف الظل ، مهذب اللفظ ، سهل الاسترضاء .

واضحة فى مقاصدها تعتمد حروفه ، اذا نطق ، على مخارج

كانت لغة الشيخ فصيحة فى كلماتها ، سهلة فى تراكيبها، واضحة فى مقاصدها تعتمد حروفه ، اذا نطق ، على مخارج يبين جرسها عن حقيقته ، فهو ليس من ابناء دمشق ، ولا فيها ولد ، ولو مر فى حي من احيائها القديمة ، وكان هنالك من يتهامس به ، ويقول عنه : « صاحب العمامة هذا ، يسفه آراء الشيوخ ... ويدعو الى السفور » . لكانت هذه القالة مثيرة للرعب ، باعثة على الفزع ، خوفا على الشيخ من تجمع الناس ، وهم ينكرون ما سمعوا عنه وما قيل فيه ، ولكن الشيخ ما يكاد يلقي على الناس من حوله السلام ، حتى يهدأ الروع ، وتطمئن النفس ،لان اهل دمشق قد ارتضوا من اخلاق الشيخ البدء بالتحية ، فاذا هم يردون عليه باحسن منها .

كان الشيخ قد نزل دمشق ، منذ سنوات (نزولا حسبه لماما ، فاذا هو قد استتلى شهورا واعواما) . واذا بفؤاده يخفق بحبها ، فالقى فيها عصا الترحال ، وسكن ما بين النيربين من مرابعها الخضر ، مسحورا بجمال ازهارها ، مفتونا بنسيم ربيعها ، يطرب لخرير الماء يجري في مقمرات صيفها ولحفيف اوراق الحور ، ينثرها الخريف ذهبا على ارضها ، يعشق رائحة التراب ، اصابه طل يبشر بشتائها ، ويأنس بالديمة السمحة السكوب تسقي رياضها ، وتروي جناتها .

احب الشيخ دمشق ، واخلص في حبه لها ، فاقام فيها عمره ، واستودعها اهله وفلذات كبده ، واختار ترابها لمثواه ، وكأنه من ابنائها كابراً عن كابر .

هذه نهاية قصة الشيخ ، اما بداتها ، فقد كانت في الرابع والعشرين من رمضان سنة ١٢٨٤ للهجرة ، وهي سنة عاصرت سنة ١٨٦٧ للميلاد في ذلك اليوم ، ولد في بيت من بيوت اللاذقية طفل ، أبوه موظف في القضاء ،مغربي الارومة، كان جده الاعلى هاجر ، في اواخر القرن الحادي عشر للهجرة اي في النصف الثاني من القرن السابع عشر للميلاد ، من بلاد تونس الخضراء في المغرب العربي ، واستوطن مدينة طرابلس من ساحل بلاد الشام ، وفي هذه المدينة ولد ابو الطفل ، وفيها تعلم اللغة والفقه والحديث ، وفيها تزوج، ثم رحل عنها طلبا للرزق والمعاش ، حتى اذا ما عاد اليها بعد سنوات من التنقل بين مختلف البلاد ، كان معه غلام صغير ، ولد له في مدينة اللاذقية .

درج الغلام في بيت ابيه وجده ، وهو بيت علم ودين ، بيت عريق في القضاء والفتيا ، فشب وهو يملك ذخرا كبيرا من المعارف ، حفظ المتون في الفقه واللغة والادب ، ثم اخذت مداركه بالاتساع ، وثقافته بالنمو ، لتلقيه العلم عن بعض المفكرين من شيوخ عصره ، كما بدات آفاق الراي فيه تتفتح ، عندما اتصل ببعض العلماء المجددين ،والمصلحين الثائرين ، كالسيد جمال الدين الافغاني ، والامام محمد عبده ، فتفاعلت في نفسه الثقافتان الدينية واللغوية ، مع نزعات الاصلاح والتجديد ، والثورة على القديم البالي ، فجعلت منه شيخا يدعو الى ضرورة التطور واقتباس كل مفيد ، ونبذ كل فاسد من الاعراف والتقاليد ، وكان له من ذخره الكبير في العربية والادب والتاريخ ، السند القوي في امتلاك ناصية البيان ، والاخذ من الدعوة بالزمام، فاخذ يكتب وينتقد ، ويغمز ويلمز من سوء الادارة وفساد المجتمع، فضاقت بالشيخ بلد شيوخها له كارهون ،وحكامها لا يرتضون النقد من اي وعاء خرج ، فترك الشيخ بلده يئن من صولة الحاكم المستبد، ويرزح تحت سلطان الجمود الموروث ويرين عليه الجهل والفساد .

وهبط الشيخ مصر سنة ١٩٠٥ للميلاد ، يفتش عن متنفس لضيق صدره وميدان يعلن فيه اراءه وما يجول في نفسه ، فاذا بالصحافة تفتح له صدرها ، وتدعوه الى ميدانها للمشاركة فيه ، فكتب المقالات المدوية ، ودبج الفصول الممتعة ، وكون لنفسه من وراء ذلك هالة ، جعلت منه بعد زمن قصير ، كاتبا اجتماعيا معروفا ، ينادي بالاصلاح الديني والسياسي ، وكاتبا لغويا متمكنا ، ينادي بالحفاظ على العربية ، لغة حية يتسع أفقها ، في شروط وقيود تصون سلامتها من الضياع ، وقواعدها من الانهيار، واساليبها الفصحى من الانحطاط .

فلما اعلن الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ للميلاد ، ونعمت البلاد بشيء من الحرية ، عاد الشيخ الى بلده كاتبا مرموقا، يحرر وينتقد ، ويدعو الى نهضة اجتماعية شاملة ، على صفحات الجرائد ، وفي مختلف المجلات ، حتى اذا ما اشتعلت نيران الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ للميلاد ، طلبت اليه الدولة ان يشترك في تأسيس بعض المعاهد العلمية ، ثم لم تلبث ان عهدت اليه بتحرير جريدة عزمت على اصدارها في دمشق .

وهكذا عرفت دمشق ، الشيخ عبد القادر المغربي سنة ست عشرة وتسعمائة والف للميلاد ، محررا في « جريدة الشرق » يتولى الشؤون الاجتماعية فيها ويدعو الناس الى النهوض ونبذ الاباطيل ثم عرفته سنة ١٩١٩ للميلاد عضوا من اعضاء المجمع العلمي العربي البارزين .

* * *

اذا كان الاصمعي مات وفي قلبه حسرة من « حتى » فان الشيخ طاهرا الجزائري ، احد مؤسسي هذا المجمع ، مات وفي قلبه حسرة من « جمرايا » كما زعم الشيخ عبد القادر المغربي في احدى المحاضرات التي القاها في ردهة المجمع هذه ، و « جمرايا » قرية من قرى دمشق ، سكنها في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ، شاعر يسمى « أبا القاسم الحسين بن واسانة » نعته الثعالبي ، صاحب يتيمة الدهر ، بقوله : » هو اعجوبة الزمان ونادرته ،وفريد عصره وباقعته ، وهو احد الفضلاء المجيدين في الهجاء ، وكان في زمانه ، كابن الرومي في اوانه » وفي احد ايام الربيع استقبل الواساني في بيته بجمرايا ، ضيوفا من دمشق وكانت وليمة خلد ذكرها في التاريخ ، اذ وصفها صاحبها بقصيدة دونها الثعالبي في يتيمته ، وياقوت في معجمه ، وشرح الفاظها وعلق عليها الشيخ المغربي في محاضراته .

لقد كان لجمرايا ، يوم اقيمت فيها وليمة ابن واسانة ، شأن عظيم ثم عدت عليها صروف الزمن ، فضاع اسمها ، وصحف في بعض كتب اللغة والادب ، وكان أدباء دمشق، يقرؤون وصف الوليمة في كتاب اليتيمة ،وهم لا يعرفون « جمرايا » ولا موقعها فتأخذهم الحيرة في ما كان من امرها ومصيرها ، وظل الادباء في حيرتهم هذه ، حتى القى الشيخ عبد القادر المغربي ، في اليوم الثاني من شهر تشرين الثاني من سنة ١٩٢٨ للميلاد ، محاضرته عن وليمة ابن واسانة ، وقال (لما طالعت ـ اليتيمة في شهر مايس (ايار) سنة ست وعشرين وتسعمائة والف للميلاد ، وقرات وصف الوليمة الواسانية شاركت الاخوان في

حيرتهم ، واخذت اتساءل عن قرية « جمرايا » واراجع عنها في المظان ، وكنت كلما اوغلت في المراجعة ، ارتطمت في الشبه والشكوك .

ثم اتفق في اثناء الحرب العامة ، ان الاستاذ الشيخ عبد القادر الخطيب ، خطيب الجامع الاموي ، ملك قطعة ارض في مزرعة . . . فعلم من اكاريها ان اسم مزرعتهم جمرايا . . . وقد بنى الاستاذ ثمة دارا حسنة ، وجعل يحدث اخوانه عن « جمرايا » وجمال موقعها ، وطيب هوائها ، ويدعوهم الى زيارته ، وبهذه الصورة ، نشرت قرية « جمرايا » من مطمورة العدم ، وعادت فولدت من جديد باسمها الحقيقي ، وظهر ان محلها وادي بردى ، على قيد غلوة من قرية الهامة منتزه اهل دمشق المشهور) حتى قال : (. . . ثم درى الاستاذ الخطيب ، اني اهيء محاضرة في هذا الموضوع ، اريد القاءها في ردهة المجمع ، فقال لي :

اما وقد عزمت على احياء ذكر « جمرايا » فاني ، انا ايضا اريد ان احيي ذكر وليمة ابن واسانة) .

* * *

في يوم من ايام الخريف كان فتى لم يجاوز الرابعة عشرة من عمره ، يقف الى جانب ابيه ، في شرفة بيت ريفي جميل ، اقيم على شفا واد من اودية تنتهي الى نهر بردى ، فتؤلف مع مجراه ، الوادي الاخضر الكبير ، يجري فيه الماء الى دمشق فيحمل اليها الحياة ، ويكسبها الفتنة والجمال .

كانت السماء يومئذ صافية ، ترصعها خطوط متقطعة من الغيوم ، تناثرت هنا وهناك ، وكأنها طلائع الشتاء المبشرة بالخير العميم ، كانت الجبال تحف بالبيت من كل جانب ، كأنها الاطواد ، شامخة بصخورها الجرداء ، زاهية بلون اديمها الضارب الى خمرة ، وعشبها قد آذن وصوح ، واذا كان نحرها عريان ، فساقها كاسية حالية بوشاح من اشجار الزيتون ، زاد اخضرارها دكنة ، ما علق بها من ثمار نضجت وحان قطافها ، اما هذا الوشاح الحلو ، فتشده الى قمم الجبال اخاديد خضراء ، تزيده روعة وجمالا ، وكانت اشجار المشمش توشي اطراف الوشاح ، باوراق الخريف الذهبية ، واشجار الحور ، تقف في مستقر الوادي ، مستعلية برشاقتها ، وكأنها عرائس تختال على ما حولها من دلب ودردار ، وبردى يتلوى بين اقدامها تلوي الثعبان ، يظهر في مكان ويختفي في مكان .

كان الفتى وابوه في انتظار ضيوف كرام ، والاب يحدث ابنه عن من لا يعرفه منهم ، فيهيج عنده الرغبة في لقائهم والترحيب بهم ، والفتى دائم الحركة لا يستقر في مكان ، وكأنه عين لا تغمض ، تراقب طريق دمشق يخترق ملتويا الجبل من بعيد ، هابطا نحو النهر كالظمىء ، لينفدع من الجهة الاخرى من النهر صعدا اذا ما ارتوى ، فلما لاحت للفتى مقدمة سيارة ، تهلل وجهه طربا ، ولم تمض دقائق معدودات ، حتى كان الفتى من وراء ابيه يستقبل الضيوف يتقدمهم رئيس المجمع العلمي العربي ، والى جانبه الشيخ الذي كان الاب يحدث فتاه عنه ويقص عليه شيئا من القصص ، يحبب الاجتماع به . والاستماع اليه .

تحلق الضيوف حول بركة ماء يزينها ما يتصعد منه نحو السماء ، فاذا ارتد دونها ، انتثر كاللؤلؤ على سطح البركة ، ليعود بعد ذلك سيرته الاولى .

واخذ القوم يتحدثون عن جمال الطبيعة في « جمرايا » وعن (موقع دار الخطيب ، وما تشرف عليه من مشهد عجيب) .

وكان الشيخ عبد القادر المغربي ، واسطة عقد القوم ، لا يلقي النكتة يتيمة ، ولا ينهي حديثا الا ليبدا قصة ، ولا يروي بيتا من الشعر ، الا ليعلق عليه حتى اذا بلغ سؤله ، رغب في زيارة القرية ، لمعرفة معالمها القائمة ، وما بقي من آثار مجدها الغابر ، وماضيها المجهول ، فاسرع الفتى الى رفقته دليلا يحسن الحديث عن ما يعرفه من آثار شارك في اكتشاف بعضها ، ويحسن الاستماع للشيخ يتم حديثه عن ابن واسانة ، شاعر جمرايا الذي لم تبق الايام من ذكر له فيها ، الا عين ماء تعرف بعين الشاعر .

طالت جولة الشيخ والفتى بضع ساعات ، كانا يصعدان جبلا ، ويهبطان واديا ، يجتازان شعابا ويطلعان ثنايا ، يتحاشيان ما استطاعا الوعر والاشواك ويقفزان اذا ما اعترضتهما عيون جارية ، وكان الفتى قد الف اجتياز العقبات ، وتمرس بعراقيب الجبال ، فاخذ بين الفينة والفينة ، يستحث الشيخ على التقدم والاسراع ، والشيخ يتمهله والابتسامة تعلو ثغره ، حتى بلغت الجولة منتهاها ، واذا بالفتى يشعر بالتعب يدب في اطرافه ، والنصب يستنفد ما عنده من نشاط ، ولكنه استحيا من الشيخ فتجلد ، واخذ في الاياب يغذ السير للحاق به والبقاء الى جانبه ، فلما وصلا البيت ، وخاف الرفقة ان يكون الفتى الدليل، قد اتعب الشيخ في تجواله ، صاح هذا الفتى : والله ان الشيخ هو الذي اتعبني .

هذا اول لقاء اتيح لي بالشيخ ، ولم اكن ادري ان الايام تدور وتدور ، لاقف في يوم ، اتحدث عن هذا اللقاء الحبيب .

* * *

حدثتكم كيف هبط الشيخ مصر سنة ١٩٠٥ للميلاد وجدير بي ان اقف قليلا لاحدثكم عن ثمرة طيبة من ثمرات هذه الفترة من حياته ، فقد نزل الى ميدان الصحافة ، وكانت جريدة « المؤيد » في طليعة الجرائد التي خاض معاركه الاصلاحية فيها ، وقد اضطر وهو يكتب للعامة من الناس، الى استعمال كلمات كثيرة، من المعرب والدخيل، فعتب عليه كثيرون من محبي العربية ، الراغبين في الحفاظ على سلامتها ، ونقده اخرون ، فاذا بالجدل ينشط بينه وبينهم (حتى تخطى الجدل القول الى الكتابة في الصحف ، وكان يكتب في المؤيد ، ردودا يحتج بها لنفسه) وكان لا يرى ، على حد تعبيره ، راي الناقدين له (في ان القليل من كلمات المعرب والدخيل ، يفسد المقال

الطويل ، بعد ان تتوفر فيه سائر صفات الحسن) .

وطال الجدل ، وكثر ما كتبه الشيخ دفاعا عن نفسه ، فاذا بصاحب المؤيد ، يشير عليه ، ان يجمع ما كتبه فى هذا الشأن فى كتاب مستقل ، فطلع الشيخ على الناس ، سنة ١٩٠٨ للميلاد بكتاب « الاشتقاق والتعريب » رد فيه على (الاغراب عن العربية ، البعيدين عن معرفة اسرارها ، والذين يرمونها بضيق العطن) وعلى العاتبين من انصار العربية (الذين يرفعون اصواتهم بالانتصار للغة ، والاعجاب بخصائصها ومزاياها) ثم لا يعملون على احيائها ، بالافادة من (قوتي الاشتقاق والتعريب ، وتمهيد السبل للانتفاع بهما . . كم يتم امداد اللغة بالحياة الدائمة والنمو المتوصل) فتصبح لغة حية تصلح لتلقين العلوم والفنون على اختلاف انواعهـــا .

وكان جل هم الشيخ فى كتابه ، ان يثبت (ان المعرب عربي فاستعماله فى الكلام الفصيح ، لا يحط من قـــدر فصاحته ، ولا يخرج البليغ عن بلاغته) على ان الشيخ ، وهو فى حومة الجدل ، كان يندفع احيانا ، فى تأييد مـــا يدعو اليه ، اندفاعا فيـــه شيء من التنكر لاصل بعض الكلمات العربية، او فيه التساهل بتعريب الكلمات الاجنبية، فهو اذ يقول (والتعريب تحويل طبيعي ، او تغيير تدريجي، يطرا على اللغة ، ويجري بها فى ناموس مطرد ، وقد خضعت له اللغة العربية بمجموعها ، ومن اول نشأتها ، كما تخضع له الان وبعد الان واعني بذلك ان اللغة بمجموعها معربـة ومحولة عن لغة اعجمية) لا يرى عيبا فى استعمال كلمات «قومسيونجية» بدلا من « وسطاء » و « بالون » بدلا من « منطاد » و « بوسطة » بدلا من « بريد » لا بل انه دعا ، فى الفترة الاولى من دفاعه عن الاشتقاق والتعريب ، الى اخذ لفظة « اتومبيل » كما اخذ اسلافنا لفظة « منجنيق » والى اشتقاق اسم من لفظه لمن يسوقه ، فنقول « آتم » او « تامل » كما سمى العرب صاحب المنجنيق « ناجق » .

كما كان الشيخ، فى الفترة المذكورة، لا يبدي اي اعتراض على استعمال كثير من الكلمات الشائعة على السنة الناس، مثل « تلغراف » و « تلفون » و « فونوغراف » و «ملاريا» و « ميكروب » ونحوها مما جاء به نقلة العلوم العصريـة ومترجموها ولم يروا مندوحة من تعريبه .

واصبح الشيخ رحمه الله فيما بعد ، من اركان المجامع اللغوية فى البلاد العربية فشارك بنصيب وافر ، فى ترجمة المصطلحات او وضعها او اقرارها ، مصطلحات لكثير من الكلمات الاعجمية ، التي كان لا يعرض على استعمالهـا لشيوعها على السنة الناس ، كمـــا فى كلمات « برقية » و « هاتف » و « حاكي » و « برداء » و « جرثومة » . وكما هو الحال فى الرتب العسكرية ، التي كان اكثر الجيوش العربية تستخدم الفاظا اعجمية للدلالة عليها .

ثم كان هذا الوعي اللغوي فى الامة العربية ، الوعـي الذي جاوز آراء الشيخ ، وغلب الناس معه استعمـــال « السيارة » و « المنطاد » و « البريد » على « اتومبيل » و « بالون » و « بوسطة » فارتاح الشيخ بادىء ذي بدء ، الى ما راى وما سمع ، ثم اصبح لا يرضى عن التعريب ، الا بالشرائط التي تحفظ للغة سلامتها ورونقها ، ولم يعد يكتفي باطلاق لفظة « سيارة » على المركبة التي تنـدفع بقوتها الآلية ، بل طمع فى ان يعرف الناس مـن السيارة شكلها « قاطرة » كانت او « مقطورة » او « صهريجا » كما طمع فى ان يعرفوا « طرازها » وقوة « محركها » وعـــدد « اسطواناتها » ومقياس اطار عجلاتها ومدى صوت منبهها ونوع « مكابحها » وموقع « العادم » فيها ينفث فضـلات ما تحرقه من وقود . لا بل طمع فى رؤية سائق اي سيارة تستعمل « المشيرة » كلما رغب فى تبديل وجهة سيره ، وينتبه الى كل شاخصة ، نصبت فى الطريق للتقيد بما تحمله من تعليمات شرطة السير ، كما طمع فى ان لا تترك السيارة الا فى المراب ، ليراب صاحبه ما فيها من خلل .

وحار الشيخ فى امر « الباص » فلم يدر ما يستبدل به، فارتضاه بهذه الصيغة الاعجمية ، وتركه يرد كذلـــك فى نص القانون الذي شارك فى صياغته ، على حين نثرت فى مواده كل الكلمات السابقة ، فى يسر وسهولة .

واني لاذكر غيرة الشيخ وجراته فى الدفاع عن العربية ، يوم اراد صاحب سلطان عارض ،تسانده صحافة قويـة وكتاب كثيرون ، الاعتداء على تاء « سورية » فصاح الشيخ بملء فيه : ان العرب ، عطوا « سورية » حقا فى تاء تلحق بها ، فهلا يعتدين احد عليها .

لقد مات الشيخ رحمه الله ، ولو مد الله فى اجله ، فراى علم الوحدة المباركة ، يخفق فى سماء مصر والشام ، نـواة للوحدة الكبرى ، احلى امانيه لطار فرحا ، ولبلغ به هذا الفرح مبلغه حين يرى « الشرطة » تفوز على « البوليس » فى المباراة ، ويرى « الامناء العامين » يأتمرون بكل «سكرتير عام » او يرى « المقدم والرائد » يحلان محل « البكباشي والصاغ » و«اللجان الطبية » تستبدل بـ «القومسيونات».

* * *

عندما يذكر اي مجمع من المجامع العربية ، يذكر معـه الفقيد الشيخ عبد القادر المغربي ، لا لانه كان مـن اعضائه المؤسسين فحسب ، بل لان للشيخ فضل السبق فى الدعوة الى انشاء المجامع اللغوية ، قبل نيف وعشر سنوات ، من انشاء اول مجمع لغوي ، مجمع دمشق العلمي ، فقد كان يبدي التلهف فى كثير مما كتبه قبل سنة ١٩٠٨ للميلاد ، لرؤية مجمع لغوي ينظر فى الكلمات الدخيلة والاعجميـة ويدونها ، مشيدا بـ (النهضة العربية العباسية ، وخاصة المأمونية ، حينما عقدت المجامع وانشئت دور الحكمة ، فصار يؤمها كبار العلماء،لاجل النظر فى ما ينقله المترجمون، من الكلمات الاعجمية ونقدها وتدوينها) قائلا (وهذا مـا نصبو اليه ، فى هذه الايام ، ونحسبه من اكبر دواعـي تقدمنا ، واتساع نطاق لغتنا ، وانتشار العلوم على انواعها فى ما بيننا) .

وكان الشيخ رحمه الله تارة يذكر ، والالم يحز في نفسه ، الزمن الذي كان يعيش فيه يوم (انتشرت اللغات الاعجمية ، ومرنت على النطق بكلماتها الالسنة ولا مجامع لغوية تعني بنقد تلك الكلمات ، وردها الى ابنية عربية) وتارة كان يضيق ذرعا بـ (الكلمات الاعجمية الكثيرة ، التي تنهال على لغتنا ايما انهيال ، وليس لنا من العناية وانشاء المجامع ، ما يقوم بشرط تعريبها ، او الحاقها بالاوزان العربية) .

وعلى الرغم ، من طول باع الشيخ في علوم اللغة ، وجلده على البحث والدرس كان يستصعب التمييز بين المولد والعامي ، لان هذه المهمة ، على حد تعبيره (تحتاج الى بحث وتنقيب ، وقلما يمكن للفرد ان يستقل بهذا العمل ، وتيسر له الاحاطة به ، وانما يتيسر للمجامع العلمية واللغوية ، التي تخدم اللغة وآدابها . وتبحث في موادها وجميع مفرداتها ، اصيلة أو دخيلة) . وكثيرا ما كان الشيخ يقول ، وفي كلامه ابتهال ورجاء : (كم نحن اذن في حاجة الى مجمع لغوي ، يصون لغتنا المحبوبة عن هذا الخطر الذي يتهددها ، ينتشلها من هذه الهوه التي نخشى ان تواقعها) ، او كان يعتذر عن البت في راي جريء يعرض له ، فيقول : (ليس لمثلي ، ان يبت بالراي فيه ، لا سيما وهو مما يتعلق بحياة اللغة وبثباتها ، في هذا الموقف الهائل، الذي تزدحم فيه اللغات الحية ، وانما اكل الحكم فيه الى المجامع اللغوية ، التي تتمخض عنها البلاد ويتحفز الى انشائها ، من فضلائنا افراد) .

كان الشيخ رحمه الله يقول مثل هذه الاقوال ، يوم لم تكن للعربية دولة ، ويوم كان الحديث عن دولة للعربية، تقصر عنه الاحلام ، وتجبن ان تخوض فيه الاقلام ، فلما راى الشيخ المجمع العلمي العربي ، ينشأ في دمشق سنة ١٩١٩ للميلاد ، ثم مجمع اللغة العربية ينشأ في القاهرة سنة ١٩٣٤ صاح بملء فيه والرضا يملأ جوانحه ، والايمان يغمر قلبه : (ان الحمد لله ، لقد تحققت أمنيتي) .

ومما يذكر للشيخ تغمده الله برحمته ، انه عندما كان مندفعا في الدعوة الى الافادة مما كان يسميه « قوتي الاشتقاق والتعريب » احتاط مرة في اندفاعه ، وقال : (قد ظهر لك مما تقدم ، ان الاشتقاق قوة لنمو اللغة ، وتكاثر كلمها ، وتشعب صيغها لكنه سماعي مقيد بازمان خاصة ، واشخاص معينين ، وليس من مقدورنا نحن ، ان نعمل تلك القوة الآن في اللغة فنشتق من مصادرها ، ونحول موادها اشتقاقا ، وتحويلا لم يعرفهما اهل اللغة انفسهم، اللهم الا اذا طرأ على عمراننا وعقولنا وعلومنا ، التي نسميها نقلية ما يفكها من قيودها القديمة ، ويجاوز بها سننها المتبعة . وليس هذا الدور البعيد مما يحسن أن نتكلم عنه الآن) . فلما اجاز مجمع اللغة العربية في مصر سنة ١٩٣٤ الاشتقاق من اسماء الاعيان ، اي من الاسم الجامد ، لنقول منحس من النحاس ، ومبلر من البلور ، ومكهرب من الكهرباء ، واستماه البخار اي استحال الى ماء ، واستبقر الجاموس اي عمل عمل البقر ، كما قال العرب في القديم ؛ مذهب اشتقاقا من الذهب واستحجر الطين اشتقاقا من الحجر ، واستنوق الجمل واستنسر البعثات اشتقاقا من الناقة والنسر ، صاح الشيخ فرحا مسرورا : (لقد صدق حدسي وتحقق ما توقعته بعد ست وعشرين سنة) .

* * *

من الاثار الخالدة ، التي صنعها الشيخ الفقيد بعد نزوله دمشق تفسيره « جزء تبارك » من القرآن الكريم ، توخى فيه طريقة استاذه الامام محمد عبده ، في تفسيره « جزء عم » من حيث (الصحة في التعبير ، والاقتصار على المفيد من القول . . . وعدم التنطع بالمشاغبات ، وايراد الخلافات والخرافات) الا انه ، رغم حبه لاستاذه الامام وعظيم وفائه لذكراه ، لم يستطع متابعته في اسلوبه، او التقيد بمنهجه ، فترك لنفسه هواها ، في حب العربية وعلومها ، فاذا به (يتوسع في التعليق والتفسير ،والاستشهاد والتنظير ــ ولا سيما المباحث اللغوية ــ باكثر مما فعله الاستاذ الامام) .

لنستمع الى الشيخ رحمه الله ــ يفسر قول الله عز وجل « قل اريتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين » يقول الفقيد (غورا ، مصدر غار الماء نضب وذهب في الارض ، وكان الظاهر ان يقول : ان اصبح ماؤكم غائرا لكنه وصف بالمصدر للمبالغة . . . و « ماء معين » اي جار على وجه الارض ، منظور بالعين ، ووزنه « مفعول » من عانه ، اذا نظره بعينه ، او « فعيل » من معن الماء في جريه ، اذا اطرد وتسلسل، فكان اعون على نقائه وطهارته ، وتخليصه من الشوائب) .

بل لنستمع اليه كيف ينسج من خيوط اللغة والادب . تفسير قول المبدع الكريم « الم نجعل الارض كفاتا احياء واموانا » قال : (كفاتا مصدر كفت الشيء الى نفسه ضمه ، وهو الذي نصب « احياء واموانا » على المفعولية ، اما من جعل كفاتا ، اسما بمعنى الموضع الذي يكفت فيه الشيء ، ويضم كالوعاء والصوان ، فان « كفاتا » حينئذ لا تنصب « احياء واموانا » بل ناصبهما فعل محذوف دل عليه « كفاتا » كأنه قال : تكفت احياء واموانا . . .

ويصح ان تكون « احياء واموانا » منصوبة على الحال ، فانه قال : تكفتكم حالة كونكم احياء واموانا ، اما كون الارض تضم الاموات الى صدرها ، وتكون كفاتا لهم ، فامره ظاهر ، ولكن ما معنى انها تضم الاحياء اليها ؟ وكيف تكون كفاتا لهم ، وهم منتشرون فوق ظهرها متفلتون الى كل جانب من جوانبها ، ولا حواجز تصدهم ، ولا سدود تقوم في وجوههم ؟ قيل في الجواب ان المراد يكون الارض كفاتا للاحياء ، ان منازلها ومساكنها كفات لهم ، تضمهم بين جدرانها للبيتوتة والراحة والسكنى ، كما ان المقابر كفات للاموات تضمهم بين جوانبها) .

وهنا يتابع ، فقيدنا العظيم ، تفسيره براي اصيل يدل

امـــل

انا ما ذقت لذة العيش حتى
أستطيع الهنا واعرف سره
فنصيبي من الحياة عذاب
مستمر وآهة ثم حسره
بت والدهر في صراع عنيف
هو يقسو وكم تمنيت قهره
كلما رمت ان ارفه يوما
عن فؤادي بفرحة ومسره
طعنتني الايام طعنة لؤم
وسقتني من المرارة خمره

غير اني وان دهتني الليالي
لست اخشاك يا زماني مره
فالابي الانوف مهما يلاقي
من عناء ومن اذى ومضره
عظمت نفسه وجاشت اما
نيه واضرم البأس صدره

الكوره — عطارد الايوبي

على ثقافة عامة ، وتفهم للعلوم العصرية ، فيقول : (وارى ان اكتشاف ناموس الجاذبية العام ، الذي بموجبه تجذب الارض اليها ما على ظهرها من البشر والدواب وسائر الاشياء ، والذي لولاه لطاروا وتبددوا شذر مذر في الفضاء، بسبب حركة الارض اليومية على نفسها ، وحركتها السنوية حول الشمس ، بسرعة فائقة الحد ، هذا الاكتشاف يفسر لنا معنى ما قرره الكتاب الآلهي ، من ان الارض كفات للاحياء ، مذ يكونون على ظهرها ، فانها تجذبهم اليها ، وتضمهم الى صدرها ، كما تفعل الام الحنون ، فلا تدعهم يتفلتون ، وهم بذلك لا يشعرون) .

* * *

سبق ان عرفنا ، كيف لجأ الشيخ المغربي الى مصر ، وكيف عاد الى بلده ، بعد الانقلاب العثماني ، واعلان دستور يكفل للمواطنين الحقوق والحريات الاساسية وجميل بنا ، ان نطلع على العدد الصادر يوم العاشر من شباط سنة ١٩٠٨ للميلاد من جريدة « المؤيد » لانه كان يحمل مقالا عنوانه : « الاصلاح العملي : ذهب دور القول وجاء دور العمل » كتبه الشيخ عبد القادر المغربي .

كان الشيخ في مقاله « ثائرا يدعو الى الاصلاح ، ومصلحا يدعو الى اقامة مجتمع جديد ، وكأنه باصطلاح العصر الذي نعيش فيه «رجل تخطيط» يضع الخطوط الكبرى، ويرسم السبل التي يجب سلوكها ، للوصول الى الهدف المنشود ، لقد كانت اهم الاسس الاصلاحية التي خططها ، هي :

آ ـ اصلاح اجتماعي ، يشمل الحكومة ، بمرافقها العامة ، واداراتها وانظمتها كما يشمل الاسرة ، وخص الشيخ « المرأة » بنصيب كبير من الدعوة الى تعليمها ورفع الحجر الاجتماعي عنها .

ب ـ اصلاح ديني ، يشمل معاهد العلم ، واساليب التعليم ، يعود الدين معه الى بساطته وصفائه .

ج ـ اصلاح لغوي يتلاءم مع مقتضيات الزمن ، ويجعل من اللغة العربية لغة سياسة وعلم وفن .

وظل الشيخ رضوان الله عليه بعد وضعه هذا المخطط ، وفيا له ، يدعو الى العمل به بقلمه ولسانه ، ويجاهد ما استطاع ، لتحقيقه وتنفيذه ، متفرغا في اخريات حياته الى الاصلاح اللغوي ولخدمة العربية ، حتى انتقل الى الرفيق الاعلى ، صباح يوم السابع والعشرين من شوال ١٣٧٥وفق السابع من حزيران سنة ١٩٥٦ للميلاد ففقدت العربية بموته ، ركنا من اركان الدفاع عن سلامتها لغة دين وادب، ورائدا من رواد الدعوة الى احيائها لغة تساير نهضة العلوم والفنون الحديثة . وخسر المجتمع بموته مصلحا يدعو الى اقامة مجتمع تسوده الاخلاق الفاضلة ، ويعرف كل فرد فيه واجباته وحقوقه ، وودعت الصحافة فيه ، علما من اعلامها الاول ، جاهد على صفحاتها بقلمه وفكره ، يدعو الناس بقوة وايمان الى الخروج من ظلمات الجهل والاعراف البالية ، الى نور المعرفة والارتقاء .

لقد مات المغربي ، وترك ثروة خالدة ، من الافكار التي دونها ، والاراء التي اعتنقها ، عرف الناس الكثير منها ، قراءة في صحيفة او مجلة او كتاب او سماعا في درس او محاضرة او حديث ، وبعضها ما زال مخطوطا ، ينتظر من ينشره على الناس .

لقد اتعبني الشيخ عبد القادر المغربي ، اول يوم عرفته يوم وليمة جمرايا ، حين كنت اجهد لالحق به ، اما اليوم ، وقد شئتم ان اتبوا مقعده في صفوفكم ، فقد كلفت امرا ادا ، لان مكان الشيخ بيننا سيظل شاغرا ، ولن يسد مسده احد ، فقد جاد الدهر به يوم ولد والدهر كأم الصقر مقلات نزور .

لقد جاد الدهر بالشيخ عبد القادر المغربي ، فكان ملء السمع ، ملء البصر ، فسلام عليه يوم ولد ، وسلام عليه يوم نزل دمشق فاحبها واحبته ، وسلام عليه يوم حنت على رفاته مخلدة ذكره ومآثره .

دمشق — عدنان الخطيب

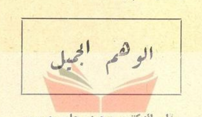
وانا ابنتها الغالية حدث لي ما حدث لك .. ويومها جزعت كما تجزعين ، وبكيت كما تبكين .. بل خيل الي ان الحياة لا معنى لها ، وفكرت بالانتحار .. ولكن سرعان ما تبلجت الحقيقة امامي ، وشفيت من هذا الوهم الذي وشاه خيالي بالوان فارهة فيها طلاوة والق .. والان عندما استعيد هذه الذكرى يغلبعلي الضحك ، واعجب من سذاجتي . وثقي يا بنتي الحبيبة ان كل عذراء تعيش ردحا من الزمن على هذا الوهم الجميل .. بيد ان الاريبة لا تلبث ان تنساه لتستقبل الواقع الذي يزيح عنها تلك الغشاوة الصيفية التي بلبلت حياتها .

ماذا تقولين ؟ .. انك لا تستطيعين ان تنسيه .. ومن هذا المأفون الذي تفنين نفسك لاجله ؟ انه لا يستحق ان تفكري فيه لحظة واحدة .. فكيف يخالجك الحب نحوه ؟ . تقولين انه خطب غيرك .. وماذا يعني هذا بالنسبة لك ؟ .. غدا يرزقك الله بفارس أحلامك ، وستضحكين من سذاجتك كما اضحك الان من سذاجتي الماضية . انك في ميعة الصبا ، في السابعة عشرة من عمرك الزاهي .. فالدنيا متفتحة لك ، والمستقبل ينشر امامك عطره الفواح .. فلا تدعي اليأس يتسرب اليك .. انسيه يا بنيتي الحبيبة كما نسيته انا .. أرجوك أن تصغي الي قليلا .. وبعدها ابكي اذا شئت ..

لقد اختلجت بي نفس الاحاسيس التي تختلج بك الان .. كنت يا امل في مثل سنك .. هذه السن الخطرة التي تتفتح فيها العواطف لاول طارىء .. يخيل اليها ان الحب اساس الوجود ، فتقع على امير الاحلام الذي يضفي عليه الخيال الالوان الزاهية التي تلهب قلوبنا النابضة بأرق العواطف ، واسناها ..

وكان شابا في الثلاثين من عمره ، فارع العود ، جميل الطلعة ، يتدفق رجولة وقوة . وتردد على بيتنا لمعالجة والدتي المريضة ، ولاول مرة رأيته فيها خفق قلبي له واحسست بتلك العذوبة اللاذةتغمرني ، وانحدرت الى أعماقي عاطفة ندية لم ادرك كنهها .. المهم انني وجدت لذة كبيرة في التحديق به .. حتى اذا غادر البيت احسست ان روحي فارقت جسدي ..

وكان عزائي في وعده بالعودة في صباح اليوم التالي ، واستسلمت الى هذا الامل يهدهدني بنغماته المسكرة .. وعندما اويت الى سريري خلوت الى صورته استعيدها في خيالي ، واتأملهاكأنني في محراب قدسيورحت اهمس له بالحب الذي اجتاحني .. وتفننت في مناجاته بأرق الالحان ، واعذب العبارات ..



الوهم الجميل

بقلم الدكتور محمد حاج حسين

والحق ان هذا اللقاء العابر خلقني من جديد ، فتفتحت عواطفي ، وتباورت بي امنية عظيمة .. ان احظى بهكزوج يزقني الحبوالحنان ، وتمثلت بيتنا يمرح فيه اطفالنا ، فكدت اجن فرحا لهذا المنظر الرائع الذي تراءى لي من خلال المستقبل الريان .. ما اجمل ان يحنو علي ، واحنو عليه ، وينطلق أطفالنا فيلعبهم المريء ، ومرحهم البريء ، وثرثرتهم الشادية . حقا انها سعادة حلمتبها ، فهدهدتني ، ونقلتني الى عالم سحري يمور بالحب والطلاقة ..

ولم انم الليل في انتظار الصباح لاحظى برؤيته .. ولا اكتمك ان الخوف ساورني كثيرا في هذه الليلة التي ولد بها حبي .. قد لا يتزوجني .. وارعبتني هذه الفكرة ، واقصيتها عني بعنف .. لماذا لا يتزوجني ؟. انني جميلة فاتنة ، واسرتي كريمة المحتد ثرية .. وماذا يريد اكثر من هذا ؟. ولكن .. كيف السبيل الى دفعه لطلب يدي ؟ واعترف ان هذه الفكرة عذبتني .. ولكنني بحيال بنت السابعة عشرة تغلبت عليها .. سافاتحه بحبي ، واطلب اليه ان يتزوجني . ولا بد أن يرتاح لهذا لانه لن يجد فتاة مثلي ..

وهكذا داعبتني المنى المعسولةطوال الليل .. وكلما قلبت الراي عن وجوهه المختلفة ، وتصدى لي حاجز يحول بيني وبينه أهلت عليه التراب .

وسقسقت العصافير تستقبل الصباح ، وارسلت الشمس اول حياتها الماسية على هذه الدنيا ، فاسرعت بارتداء ثيابي ، وانتقيت اجملها تلك التي تبرز مفاتني . ورشقت المرآة بنظرة مستعلية ، واعجبت بوجهي الزنبقي ، وصدري الذي يتالق كالنور في بياضهوبضاضته ، .ل شيء بي مغر داع .. فلم لا ينجذب الى حبي ؟

ورن جرس الباب في هذه البكرة المطلولة ، فهرعت الى فتحه ، خافقة القلب ، مهتاجة الخاطر . واطل بقوامه السمهري ، ورشاقته الحية ، ولو اصغيت لنداء قلبي لارتميت بين ذراعيه اغمره بقبلي ، ولكننيتمالكت نفسي . وقلت : تفضل .

— كيف والدتك الان ؟

— بخير .

وولج حجرة امي ، وجس نبضها ، ووزن حرارتها ، وابتسم وقال : بعد اسبوع تغادرين السرير .

واراد الانصراف ، ولكن والدي دعاه لاحتساء فنجان قهوة . وانطلقت كالريح اعده بنفسي ، وقدمته له ، ويبدو انه كان شارد الذهن عندما تناوله فلم يشكرني .. وبعد ان رشف منه بعض جرعات تنبه الى وقال : قهوة عظيمة .. اشكرك يا



نـاديا .

ـ انا التي عملتها .

ـ انـك شـاطرة .

وقدمت له سيجارة ، فأشعلها .

وابتسم قائلا : يبدو انك مهتمة بـي كثيـرا .

وضحك والدي قائلا : لانهـا ستدرس الطب .

وقال الدكتور : لا تتعبي نفسك يا انسة بهذه الدراسة الشاقة .

وقلت دون وعي : كما تريد يـا دكتـور .

ولست أدري مدى تأثير هـذه العبارة عليه .. غير انني لمحت اختلاجة يسيرة في عينيه . وتساءلت بيني وبين نفسي .. هل فهـم قصدي ؟. انني اريد ان افهمه انني طوع يديه . وتمنيت من الله ان يكون قد لفت نظره الى هذا .

وشفيت والدتـي .. وامتنـع الدكتور من زيارتنا ، وشعرت بفراغ هائل لبعده عني ، ففي خلال هـذه المدة التي امضاها في معالجته والدتي ربا حبي له ، وتضاعف وجدي بـه ، وترسبت صورته في وجداني حتى اضحت لا تفارقني . ونقمت عـلى والدتي التي برات بسرعة . وجفاني النوم ، وعجب اهلي من سرعـة انفعالي ، وتوتر اعصابي ، وفقـدان شهيتي .. ولكنهم أنى يعلمون ان الحب رتع في روحي .. واخيـرا اعتزمت امرا ، وغادرت البـيت ، وذهبت الى عيادة الطبيب . وكانت مكتظة بالمرضى . واعطيت اسمـي للممرضة ليحدد لي ميعادا ، وعادت بعد قليل ، وقالت : تفضلي .

وتثاقلت في مشيتي ، وسارع الي الاضطراب ، واحمر وجهي .. لقـد اعتزمت ان اصارحه بحبي لانجو من هذا العذاب الـذي يلاحقني .. واستقبلني مادا ذراعيه ، وقال : اهلا وسهـلا ناديا .

ورجفت ، وانا احس حرارة يده تسري في بدني . وتهالكت على مقعد خائرة القوى . واستتلى الدكتـور قائلا : خيرا . ان شاء الله . مـاذا بك يا ناديـا ؟.

وتهدج صوتي وانا اتمتم : ارق في الليل ، وتوتر اعصاب ، واضطراب في كـل جسـدي .

وتضاحك قائلا : كـل هذا .

ـ واكثر ، انني لا استطيع ان اصف لك كل الآمي .

ـ يبدو انك تدرسين كثيرا .

ـ ابدا . وحياتك لم افتح كتابـا منذ اسبوع .

ـ غريب . وهل نسيت ان الامتحان على الابواب ؟.

واخذ يدي ، وجس نبضـي ، وهفت الحمرة بوجهي ، ثم امرنـي بالتمدد على منضدة الفحص ، ووضع السماعة على صدري ، وبعد دقائق مال الي قائلا : ليس بك شيء يـا ناديـا .

وصرخت : كيف ؟ انني مريضة .

ـ اؤكد لك انك خالية من كـل مرض . يجب ان تأخذي حماما باردا كـل يوم .

ـ أنت غلطان يا دكتور .

ورنت ضحكته صافية وصاح : طيب . انت مريضة ، وسأعطيك دواء يشفيك بسرعة .

ـ انت تضحك مني يا دكتور .

ـ وماذا تريدين ان افعل ؟

وغلغلت نظراتي فيه ، ودار رأسي، وزاغت عيناي، وفقدت وعيي، فوثبت من مقعدي ، وطوقته بـذراعي ، وجذبته الي ، وقبلته ..

واذهلته المفاجئة ، وتملص مني ، وتراجع خطوات الى الوراء ، وقـد بهت لونه ورجف جسده ، وحـدق بي بنظرات التمع بها الذهول والقلق. وتمتم : ماذا فعلت يا ناديا ؟

واجهشت بالبكـاء وغمغمت : سامحني يا دكتور . لم استطع مغالبة عواطفي . انني احبك .

وفغر فاه دهشة، وصرخ : تحبينني.

ـ نعم . منذ اليوم الذي دخلت فيه بيتنا ، وانا افكر فيك واتعذب، لانني احببتك بكل ما في قلبي مـن ضرام . انني اتمثلك امامي ليلـي نهاري ، ولا استطيع ان انتزعك مـن قلبي .. انك حياتي .

وكدني عرق بارد .. ورأيتـه يشعل سيجارة بعصبية ، وينفث دخانها .. وكنت أنتظر كلمة منـه ترفعني الى اوج السعادة .. وبعـد هنيهات خلتها دهرا قال لي : ناديا.. انت غلطانـة .

وقاطعته : غلطانة .. لا اعرف . كل ما اعرفه انني احبك .

ـ وماذا تريدين من هذا الحب .

ـ الـزواج .

ـ الـزواج !..

ـ هل تستطيع ان تجد زوجة لك في مثل جمالي واخلاقي وكريـم محتدي .

ـ ولكنني يا ناديـا ..

وقاطعته : لن تجد امراة تحبك بهذا الاخلاص والاندفاع .

ـ ولكنك مثل ابنتي .

ـ فارق السن لا اهمية له .

ـ يسعدني حبك .. ولكن ..

ـ لا تقل لكن .. كل عقبة يجب ان نزيحها من طريقنا .

ومد يده الى جيبه ، واخـرج محفظته ، وفتحها بتؤدة ، واخـرج منها صورة ، ودفعها الي ، وقـال : انظري الى هذه الصورة .

وتأملتها بسرعة .. انها صورتـه مع امراة جميلة ، وطفل .. وقلت : صورة مـن هذه :

واجاب : أنها صورتي مع زوجي وابني .

واحسست بالاختناق ، وكدت اقع مغشيا علي ، غير انني تجلـدت ، وايقظني صوته الداوي من ذهولي : اسمعي يا ناديا . انا متزوج .واحب زوجي وولدي حتى العبادة . وهكذا ترين انه لا امل لنـا في الزواج .. واؤكد لك لولا هذا لكنت سعيدا في الزواج بـك .

واردت البكاء ، ولكن الدمع لـم يستجب لي .. وشذرته بقسـوة ، وقد جرفني حقد هائل عليه.. وربت ظهري ، وقال : ناديا .ان ما تحسين به نحوي نزوة عابرة لن تلبث حتى تزول . ستنسين كل شيء عنها ،

الكأس الاولى

التقينـا على الرمـال التقينا وجمعنا اللهيب من شفتينـا
وعصرنا الكروم..حتى ارتوينا وهدمنا السنين ... ثم بنينا
وخلعنا الظـلام ثم ارتدينـا حلل النور، والشذى، وانثنينا

لنغني ..مع الطيور الخليات .. نغني .. والكأس في راحتينا
كأسنا كأسنا .. حصاد الصبابات .. دفنا الصبا بها وبكينا
أترى تذكرين .. ذاك الصراع الحلو .. تلك الجراح في ساعدينا ؟
جوعنا الكافر العنيد انطـلاق .. وانسحاق .. مدمر جسدينا !
والغرام العنيف برعمنـا الاخضر .. طفل يطل من مقلتينـا
كم فرشنا له الضلوع مهادا ... وسقينا عروقه مهجتينـا
كنت انسانة .. وكنت .. اجل كنت .. ارى فيك دمية تتثنى
كنت مثالها الذي عجن الطينة .. سوى لها بريقا ولونـا
كنت طفلا .. بلا جذور .. ونايا .. ساذج اللحن لايرى الكون كونا
غير ان الزمـان دمر عشـينا ومـد الجـدار حتى اختفينـا
عبثـا .. نجمع الشظايا النثيرات .. لنبني كأس الهوى في يدينا
وافترقنا .. على الطريق .. كلانا .. في طريق .. كأننا ما التقينا
وأراك الغداة .. اطياف ذكرى .. باهتات .. تلوح لي بين بينا

القـاهرة
محي الدين فارس

وتضحكين منها عندما يحين الوقت ، وتتزوجين . انك لا تزالين صغيرة . لا تفكري بالحب والزواج الان . ليكن همك دروسك حتى تنجحي بتفوق. وتأكدي انه سيتقدم اليك عشرات يطلبون يدك .. كلهم احسن مني .

وخرجت من عيادتـه مكروبـة الجوانح ، مهيضة النفس . وذهبت الى البيت . وتعذبت . ولكن سرعان ما ذاب هذا العذاب في انكبابي على دروسي . ولقد صدق الدكتور في كلامه ، فقد خطبني ابوك ، واحببته الاف المرات اكثر من حبي العابر لذلك الدكتور ، وانت بدورك يـا حبيبتي سيأتي الزوج المنشود عندما يحين الوقت وستحبينه ، وستجدين ان حبك لابن عمك الذي خذلك وتزوج غيرك ليس الا نزوة عابرة .. ووهم سيتبدد ذات يوم .. فلـو كان ابن عمك جديرا بمزاياك العظيمة لهرع اليك ، ولكنه لا يستحقك لان نصيبك لا يزال منطويا في ضمـير الغيب .. وكل ما يجب ان تعمليه للشفاء من هذا الوهم الجميل الانكباب على كتبك لتكوني من اوائل الناجحات في الشهادة الثانوية التي هي على الابواب .

افهمت يا بنتي الغالية .. مـا لك تنظرين الي هكذا ؟. انني مطمئنة الى حصافتك .. ايتها العزيزة الحبيبة.

طرطوس
محمد حاج حسين

● « ان حرية المرأة الصافية الجميلة اسمى بما لا حد له من اي عمل جنسي . وليس في هذا الامر شيء محزن الا تخلف الرجال فيه عن النساء . انهم يلحون على الشيء الجنسي كالكلاب » د.ه. لورانس

د. ه. لورانس في « عشيق الليدي تشاترلي »

بقلم محمد اديب العامري

كاتب فنان عبقري ولا ريب ، ولكنه مفكر فاشل . دخل الى هذه الدنيا فولد مع مشاكلها ، وعانى هذه المشاكل معاناة قاسية ، وتألم منها ألما شديدا ، ثم خرج منها مسرعا بعد ان حاول حل مشاكلها ، فلم يقدم اي حل اساسي من الحلول التي حاولها . ومع ذلك نقرأ له ما كتب شغوفين به محبين له ، ونكرر القراءة فنجد فيها شغفا جديدا ولذة مستحدثة .

ذلك هو د. ه. لورانس الكاتب الانكليزي الاديب الذي حركت ذكراه في نوفمبر الماضي الى مدى عالمي عميق محاكمة أولد بيلي في لندن التي نطق بالحكم فيها نهائيا القاضي برن واصدره لصالح القصة الطويلة التي ظل نصها الكامل ممنوع النشر في بلد الكاتب نفسه زهاء ثلاثين سنة ــ رواية « عشيق الليدي تشاترلي » .

وسر ذلك هو العبقرية حين تتعدد جوانبها . والغالب في العبقرية ان تكون متعددة الجوانب يسبق صاحبها بها الزمن . واذا فقد العبقري عنصرا يقهر به الحياة التي غالبته فلا يعدم عناصر اخرى تخلد اسمه وتبقى ذكراه على اقل تقدير .

والكاتب لورانس كتب عديدة ورسالة واضحة . وبعض كتبه ادل على رسالته من هذا الكتاب الذي كان من اواخر ما خط قلمه ، والذي اشتهر اكثر من اي كتاب اخر له ، فبيع منه منذ نشره الى الان ما يزيد على اربعة ملايين نسخة . ونقصد رواية « عشيق الليدي تشاترلي » الذي اصدرت المحكمة حكمها فيه . وهي رواية تتميز بطابعها الجنسي الصريح ، يسودها منذ مطلعها ، فتثير الرغبة عند عدد كبير من القراء ، في مطالعتها والتمتع بها . وليست هذه الرواية وحدها التي تتعرض للجنس عند لورانس ، ولكن رواياته وقصصه وكتاباته ، تشير في الغالب الى هدف واحد ، سواء اكان هذا الهدف قيما او غير قيم .

وقد صدر من الرواية التي نحن بصدد الكلام عنها ثلاث طبعات مختلفات . اما بعد صدور حكم محكمة اولد بيلي فسيقرا الناس دائما طبعة واحدة هي الاصل الذي خطه الكاتب . وعندما منعت الرواية في بريطانيا عند صدورها سافر لورانس الى ايطاليا فاصدرها هناك كما هي ، ثم صدرت في فرنسا ولم يسمح بنشر الاصل في اميركا نشرا مشروعا الا منذ ما يزيد قليلا على سنة . وكانت بريطانيا ، بلد الكاتب اخر بلد اذن بنشر الكتاب في نصه الاصلي . فيا لسخرية القدر ! وكان لورانس قد اصدر طبعة منقحة بقلمه حذف منها الالفاظ والعبارات والمواقف التي تعتبر نابية حين يعبر عنها بالتعبير الاصلي الذي وضعه ، وهي الطبعة التي كنت تجدها دائما في الاسواق .

وقد تم افراج بريطانيا عن الاصل بعد مضي ثلاثين عاما على وفاة الكاتب ، فما الذي وقع في هذه الفترة ؟

ان الذي وقع في اعتقادي هو ان قضايا الجنس قد اضحت من المواضيع المطروقة التي لا يبالي الناس التعبير عنها . وقد ساعد على ذلك الكتابات العلمية التي ملأت الارض بحثا واكتشافا ووصفا ، كما ساعد عليه هذا « التيه » الثقافي الذي لا يدري معه الشبا ب في الدنيا معنى لهذه الحياة ولا هدفا ، فيتهاوون اعياء وينغمسون في الجنس تلهيا وضياعا . وان الذي اوحى الى لورانس برواية الليدي في هذا القالب الذي يضعها فيه هو دون شك ذلك التيه الذي امتد بعد الحرب العالمية الاولى ــ تيه في هدف الحياة ادى الى انطفاء الحيرة والتعب في مخابىء الجنس . ولم يتخلص لورانس نفسه من الاذعان لهذا المهرب الخاوي من المهارب المعقدة . اما محتوى الرواية او الهدف فيها فكان شيئا غير الجنس .

وتتلخص قصة « عشيق الليدي تشاترلي » ، التي تزيد على ثلاثمائة صفحة من القطع المتوسط ، في ان فتاة (كوني) من اوسط الناس تتزوج من ارستوقراطي بريطاني هو السيد تشاترلي . ثم لا يلبث هذا السيد الاقطاعي ان يلتحق بالحرب فيعود منها مقعدا ليس له قدرة على الجنس ، وبذلك تحرم زوجته الشابة الاتصال الجنسي فيهزل جسمها وتذبل نفسها . ويرى لورانس ان الجنس شأن عادي من شؤون الناس الخاصة فيجري الحديث على لسان ابي الليدي يحدث به زوجها بان لا مانع من ان تعرف ابنته الاتصال بالرجال لتعود اليها نفسها ويرتد جسمها . ويحدث الزوج الارستوقراطي بذلك عقيلته حديثا ان يكن واضحا كل الوضوح فانه غير مخلص كل

الاخلاص . فيصل لورانس في روايته السيدة بحارس الغابة المجاورة ناجم من طبقة العمال ، تخرج اليه خلسة مرة تلو مرة ، وهي الليدي تشاترلي بمكانتها من الطبقة البريطانية العليا او ما يقرب منها . ولكن العلاقة تشتد بينهما فتحمل السيدة منه .

وقد قال القاضي الاميركي (برايان) الذي حكم بالافراج عن القصة الاصلية سنة ١٩٥٩ ما يلي حرفيا : « ان حوادث الرواية وسيلة يوضح لورانس بوساطتها رسالته الاساسية للمقارنة بين فلسفته الخاصة والمجتمع المنحل العقيم الذي يهاجمه » . غير ان سواد القراء فهم هذه القصة دائما على انها وضعت المواقف الجنسية بين سيدة ارستوقراطية وحارس الغاب ، او شرح للعواطف المشبوبة عند المراة والرجل . وقد اتجه اهتمامهم الى الوصف الصريح والكلمة النابية فتوارى لذلك قصد المؤلف الذكي العبقري. وكان رواج القصة كبيرا طوال الوقت . على ان اسلوب الكاتب سلس جميل ، وهو اجمل ما يكون حين يتعرض للوصف ، فان له وصفا لايجارى لما تبرز به الطبيعة وتختلج النفس . وربما كان اضعف ما في القصة حوارها ، اذ يبتعد عن طبيعة الاشياء احيانا فلا يكون الا وصفا علميا للنار والدخان والآلة والزحام . ولعل لورانس نفسه مسئول عن ظن كثيرين بان القصة ليست الا جنسا ، وان بعض الوصف والعبارة لا يرضى عنه الذوق حقا .

لقد قلنا ان د.هـ. لورانس كان مفكرا فاشلا وعبقريا ، فما هذا التناقض ؟

لقد كتبت سنة ١٩٥٣ كلمة عن هذا الكاتب فقلت هناك ما يصلح للاقتباس هنا وهو انه كاتب « راغ عن الحياة الحقيقية بالهروب الى الطبيعة البدائية . وقد فعل ذلك بعدما راى من انهيار العالم بعد الحرب العالمية الاولى . وقد صدمته الآلة بما مثلت من روح العصر ، او بما مثلها من روح العصر ، كما صدمته القيمة التي يضعها الناس بينهم للمادة . لقد اراد عالما آخر او مدنية اخرى » .

هذه هي بزرة العبقرية التي نتحدث عنها عند هذا الرجل . لكنه فيما يبدو لي من روايته هذه والروايات والقصص الاخرى قد صور العالم الذي يريد وقد ارتد الى الطبيعة البدائية ولجأ الى مجرد الخلق الراقي الناعم بين الناس كدستور لهم . الخلق الذي يغلب فيه الحب والتسامح والحرية والديموقراطية . ومن المعلوم ان هذا لن يكون حتى تقسر المجتمع قسرا على حياة تؤيد الحق والعدالة والحرية بين الناس .

كان لورانس ابن فحام . وكان قد تزوج من فتاة ذكية فنانة . وكان خجولا حييا ذاهب النفس ، يأوي الى زوجته في حنان وطفولة . وكان يلمح ما في العلاقة الجنسية الضرورية من تعزية لنفس شريفة منهارة . لذلك احب النفس البشرية حين تلجأ الى نفس اخرى تتسلل الى جوارها في أعمق صلاتها وتلجأ اليها . وكان يريد تغيير العالم ولكنه لم يعرف الطريق ، وهذا سر فشله ، فلا تناقض اذن . هي عبقرية ناقصة او نصف عبقرية أو عبقرية غير عملية !

ورواية « عشيق الليدي تشاترلي » بناء محكم الصنع من ناحية الخطة والسرد والهدف وقد صدرت عند نضج الكاتب الفني في اواخر حياته . والارجح ان لورانس نفسه يمثل شخصية حارس الغاب وجيله ، وان النبيل تشاترلي بمزرعته ومقاطعته ذات المصانع يمثل المدنية المتدهورة . والحقيقة انه لا يصعب عليك ان تنفذ الى اغراض الكاتب ، فهو يعبر عنها تعبيرا صارخا يكاد احيانا يذهب بجمال السرد الفني كما اشرنا . وهو ينحو هذا النحو في جميع ما كتب ، وفي قصة « نساء محبات » خاصة . وقد قال عنه جون انتريكر الاستاذ المتخصص في جامعة كولومبيا ، بحق: « ان لورانس دائما نافذ الصبر ازاء روايته . وانت تدرك ذلك اذ تقرأ رواية واحدة له فقط . ان سياق الرواية واشخاصها تعترض عنده سبيل القول الذي يريد ان يقول ».

وعندي ان هذا يصدق على رواية « عشيق الليدي تشاترلي » منذ مطلعها ، فهو في هذا المطلع يقول : « ان عصرنا في جوهره عصر فاجع ، ولذا فنحن نرفض ان نسلم بد فاجعا . لقد وقعت الكارثة ونحن بين انقاضها . وقد بدانا في بناء مساكن صغيرة جديدة ، وانشاء آمال صغيرة جديدة » . فاذا طالعت الرواية كلها عرفت في سهولة ويسر ما يرمي اليه لورانس بهذا المطلع . ولعل ايرادا لمقتبسات اخرى من الرواية تؤكد لك ذلك .

خذ مثلا بعض اقواله في انهيار الحضارة ، تلك الكارثة التي وقعت والتي نحن بين انقاضها .

« قالت العمة ايفا : اني اعتقد ان الحضارة آخذة في السقوط .

فقال كليفورد (النبيل) : وماذا بعد ذلك ؟

فقالت السيدة العجوز : ليس لدي اي راي ، ولكن شيء ما فيما اظن » .

وقال الكاتب يتحدث عن (كوني) سيدة القصر وزوجة النبيل : « لقد ملأ روعها احيانا نوع من الرعب ، رعب من الجنون البادي للنوع البشري المتمدن كله. اما كليفود فكان ينزلق نحو نشاطه الصناعي متحولا الى مجرد مخلوق له صدفة قاسية من الخارج ولب طري من الداخل ، الى احد السرطانات العجيبة للعالم الصناعي المالي الحديث . لا فقاريات من النوع القشري الذي له صدف من الفولاذ كالآلات ، واجسام داخلية من اللب الطري ، اما (كوني) نفسها فقد كانت معياة عاجزة » .

ويقول لورانس عن تافرشال ، مقاطعة النبيل ، وعن انكلترا نفسها :

«تافرشال . تلك كانت تافرشال . يا انجلترا السعيدة ! يا انجلترا شكسبير ! كلا ! اما انجلترا هذه الايام التي عرفتها (كوني) منذ عاشت فيها ؟! انها تنتج عرقا جديدامن البشر ، عرقا له من ناحية وعي زائد للمال والشؤون الاجتماعية والسياسية . اما في ناحية الصفح والايحاء فموت ــ موت لا غير . انصاف جيف كلهم من ناحية ، ووعي ملح مروع من الناحية الاخرى . . . اواه ربي ، ماذا فعل الانسان بالانسان ؟

وشعرت (كوني) مرة اخرى وهي في موج من الرعب باليأس الاغبر من ذلك كله . . . اما ميلورز (الحارس) فقد نشأ في هذا كله ، ولكنه ابتعد عنه . وحتى عنده لم يبق شيء من المودة . لقد ماتت هذه . تلك كانت انجلترا!»

وخذ مثلا من شعوره بخواء الحضارة :

« لم يكن ذلك خطأ امراة ، ولا حتى خطأ رجل ، ولا خطأ العلاقات الجنسية . ان الخطأ هناك ، بعيدا هناك ، في تلك الاضواء الكهربائية الشريرة وقعقعات الآلات الشيطانية . هناك في عالم الشره الميكانيكي ، يتلألأ بالاضواء ويلفظ حمم المعادن ، في حركة المرور الصاخبة يكمن الشر الاعظم متأهبا لتدمير ما لا ينسجم معه . »

نتوقف الان قليلا عند هذه المقتطفات الرائعة المروعة كما ترى ، لنعرف السبب الذي من اجله يتجاوز كثيرون من قراء لورنس عن مثل هذه الاقوال الصارخة ، وكثير غيرها من مثلها ، ليروا مناظر الصلات الجنسية وحدها في رواية الليدي .

ان الجواب على ذلك يكمن في الحل الذي رآه لورنس لمشاكل الحضارة التي عاينها وعاناها والتي اوردنا طرفا من اقواله فيها . فما هو مستقبل الحياة عنده وما هو حل مشاكلها ؟

قال لورنس على لسان حارس الغابة يخاطب الليدي :

« اجل اني اؤمن بشيء . اؤمن بان اكون لين القلب محبا . اؤمن ايمانا خاصا بان اكون دافيء القلب في الحب ، ان احب بقلب دافيء . اني اعتقد انه اذا احب الرجال بقلوب دافئة ، وانه اذا اخذ النساء الامر بقلب دافيء كذلك فان كل شيء يستوي صحيحا . »

وقال الكاتب على لسان السيدة تخاطبعشيقها الحارس:

« يجب ان يتعلم الناس ان يكونوا ذوي جمال متجردين عراة ، وان يغنوا معا ويؤدوا تلك الرقصات الجماعية القديمة ، وان يحفروا المقاعد التي يجلسون عليها، ويتزينوا بشاراتهم . عندئذ لا يحتاجون الى المال . تلك هي الطريقة الوحيدة التي يحلون بها مشكلة الصناعة . »

ولعل هذا القول الوجيز يجمع هدف لورنس في الحياة اكثر من اي قول آخر . فالحل الذي يراه للمشكلة كما ترى يقوم على دعامتين : العودة الى الحياة البدائية مع اطراح الآلة والكهرباء والجلبة ، ثم اللجوء الى الحب . وهو من هنا يسترسل في الحب واوصافه ، تلك التي تلفت انظار الشباب والسطحيين من القراء لروايته . ومع ذلك فان لورنس يلمح بساطة الحل الذي توصل اليه واضمحلاله، فيقف عاجزا ويتهاوى ، فيبرز الحب عنده (او الاندغام بالحب) وكانه الحل الاول لمشاكل الحياة جميعا . ومظهر الحب هذا هو الذي جعل كاتبا مثل (الفاريز) يعتقد خطأ بان رواية عشيق الليدي « تعريف عظيم لمعنى الزواج . »

في اسى هذا التهاوي والفشل يلجأ لورنس الى الحب والمراة والرقة واللطف ، كالجندي الهارب من معركة هزم فيها فلجأ الى الحانة والى احضان امراة . لجأ الى اندماج الرجل بالمراة والمراة بالرجل والروح بالروح . وهذا كله يأتي عنده « من داخل الانسان نفسه » عند حد قوله . وعن هذا الهدف عبر لورنس حين اسمى روايته (عشيق الليدي) لاول مرة « الرقة » (تندرنس) ، ثم عدل عنه الى اسمها الحالي .

على ان لورنس يقصد بالجنس ما ينتهي اليه من راحة نفسية وعلو . فنظرته الى الاتصال الجنسي نفسه ليست الا نظرة الى امر عادي هو الوسيلة لا الغاية . بل هو يبدي نفورا ظاهرا احيانا من هذه الوسيلة « العتيقة » ويتمنى لو امكن الوصول الى نتائجها بغيرها .

قال لورنس في روايتنا نفسها :

« انما مداعبة الحب وما يتلوها ردة بدائية وشيء من الهدوء . » وقال :

« ان حرية المراة الصافية الجميلة اسمى بما لا حد له من اي عمل جنسي . وليس في هذا الامر شيء محزن الا تخلف الرجال فيه عن النساء . انهم يلحون على الشيء الجنسي كالكلاب . »

وقال : « انما الجنس عارض فقط ، او ملحق . هو نوع من العمليات العضوية العتيقة التي استمرت على ما هي عليه من الجلافة ، ولم تكن ضرورية حقا . »

ثم يقول : « اننا لا نريد ان نتبع الانسان الى المرحاض ، فلماذا نريد ان نتبعه الى الفراش ؟ »

فوصف الجنس عند لورنس هو في الغالب صدق في التعبير ليس الا . كان الكاتب يقول : « لا صدق في رواية يعترضها كل شيء فتصفه ، حتى اذا اعترضها وصف الجنس راغت عنه » . والواقع ان اوصاف لورنس لنواحي الجنس في الرواية تثير عواطف الحب والحنان واندغام النفس في النفس اكثر مما تثير الرغبة . ولذلك يقول الكاتب الانجليزي المعاصر (تيلور) عن الرواية : « انها اخلاقية عالية الى حد يجب ان يطالعها معه كل انسان . »

عمان — محمد اديب العامري

ضـــلال

ثـريـا ملحس

احـدى قصائد « ملحمة الانسان »

الترتيب التفعيلي : مفاعيلن فعولن

ومـا سر الحيـاة ؟
لـماذا نرتضيها ؟
وهذي الارض تقسو
ومـن تحت الجبـال
امـانيها كأفعى
تـدك الصخـر ، ترسو
علـى صـدر عليـل
كـأن السم يهري
حوافيها ، فينهار سرح كالظلال
ويمسي ذرة فى فضاء لا يدور
خلقنـا كيف ؟ هل للردى فينا معاد ؟
حملنـا جسمنا تحت انـات تثور
فان هبت ريـاح ، وغاب العمـر عنـا
واصبحنا ترابا ، رفاتـا لا نحس
دهشنا كيف نرضى بموت فى الحيـاة ؟
ومـا سر الحيـاة ؟
لـماذا نبتغيها ؟

وكم من مرة سرت لا اشكو ضلالي
حسبت الداء ولى ، وليلي فى رحال
وفى الدرب الطويـل
مـع الفجر النقي
سئمت السـير ، ارنو الى الليـل الطويل
الى اللاشيء يمحـو الدنى ، كـل العـويل

لمـن اشـكو مـلالي
وابعـادي هـروب
واهـوال تـؤوب
وفى الدنـيا عـواء
ضـجيج لا يهـاب
لمـن نبنـي الـديـار ؟
لمـاذا الطـير يعـلو ،
واصـــداء تحـوم ؟
وعقـــل فى الفضـــاء
يلـم الصـوت ، صـوت
الاعـالي فى النجـوم ؟

سـئمنـا الانتظـار
وددنـا ان نعيـش
كصـخر لا يميـد
كأعمى فى الـزوايـا
يـرى الدنيـا سلامـا

ومـا سـر الحيـاة ؟
لـماذا نرتضيهـا
ونمشـي فى ضـلال ؟
لـماذا نبتغيهـا ؟

النواسي الشاعر الماجن والمجدد

بقلم عبد الغني العطري

لست ادري اي شيطان القى بين يدي بديوان شاعر المرح والمجون ، بعد ان غاب عن ناظري ، بين اكداس الكتب ، بضعة عشر عاما ... وكان هذا الديوان من قبل سميرا لي ومؤنسا اصطبح به ثم اغتبق . لست ادري كيف امتدت يدي تبحث عنه بعد طول فراق . وكل ما اذكره اني كنت ذات ليلة اسير بعض كتب الادب القديم ، فاذا بي اقع على بحث عن الشاعر الماجن ، ومقطوعات له ، ... واذا بهذه المقطوعات تثير شوقي الى صاحبها وديوانه . ثم استعيد الايام الخوالي ، التي كنت اقرأ فيها للنواسي وانا على مقاعد الدراسة .

وما اذكر انني احببت شاعرا كما احببت ابا نواس ، ولا وجدت متعة فى قراءة شعر كما وجدتها فى قراءة ديوان ابي نواس . ولست ازعم اني احببته لان شعره يتجاوب مع نفسي ، ففي شعره من الاباحية والالحاد والشعوبية ما انكره عليه اشد الانكار ، والومه من اجله اعنف لوم . ولكني احببت فى هذا الشاعر روح المرح وطربت لبراءة النكتة عنده ، واعجبت باستخفافه بمن حوله من المتزمتين وعدم مبالاته بصيحاتهم . فقد كان ابو نواس لا يعبأ بمن حوله من الناس ايا كان لونهم واتجاههم ، بل اطلق لنفسه العنان ليمرح كما يشاء ، ويلهو كما يشتهي ويحب . لم تكن تخيفه صيحات المتدينين ، ولا الثائرين على المجون والموبقات . كان يهزأ بهم جميعا ويسخر منهم ، ويسمعهم لواذع القول . كان ثائرا على القديم ، يكره الوقوف على الاطلال ، وكان يلذه المجاهرة بالمعصية ، ويدعو الى شرب الخمر ، كما يدعو الاتقياء الى العبادة وطاعة الخالق سواء بسواء !..

فهذا اللون فى ادبنا العربي طريف فى بابه ، جديد فى لونه ، لم يعرف قبل ابي نواس ، ولا عرف بعده . ولو صدر هذا المجون ، وهذا الفسوق ، وهذه المجاهرة بالالحاد ، والدعوة الى المعصية من شاعر غير النواسي ، وفى عصر غير عصره ، لكان مصير قائله الرجم والقتل واللعنة الى يوم الدين . ولكن شخصية ابي نواس المرحة الضاحكة ، لم تعط الحاده معنى الالحاد الصحيح ، ولم تسمح لدعوته الى المجون والعهر وشرب الراح ، ان تتخذ لون الكفر بمفهومه الكامل ، بل التمست شخصيته الضاحكة لهذه الامور كثيرا من المبررات والاعذار . فالكفر الذي يدعو اليه الانسان الرصين ، الجاد فى دعوته ، هو دون ريب ، غير الكفر الذي يدعو اليه انسان ضاحك ماجن ثمل . فالاول تؤخذ دعوته على محمل الجد ، ويحاسب على دعوته وكلامه حسابا عسيرا ، بينما تقابل دعوة الثاني بكثير من التسامح وعدم المبالاة ، بل ربما قوبلت بالضحك والاستخفاف ، والدعاء له بالصلاح والعفو والغفران !.

ولندع حديث الكفر والالحاد ، فلست اطيق هذا اللون من الحديث الشائك ، ولنقصر حديثنا على ناحيتين من ادب ابي نواس هما مجونه وثورته على القديم :

عاش ابو نواس حياة كلها مجون وعهر وفسوق ، ما يكاد يصحو من سكرة حتى يصلها بسكرات :

فعيش الفتى فى سكرة بعد سكرة ... فان طال هذا عنده قصر الدهر
وما الغبن الا ان تراني صاحيا ... وما الغنم الا ان يتعتعني السكر

كان يحب حياته ولذته واقصى متعته فى الشراب والمجون . لم يكن يجد لفراق الخمرة سبيلا ، ولا يشعر بمعنى للحياة بدونها . ان الكأس صديقه الوفي ، ونديمه وسميره . وكما كان ابو نواس يحب ان تكون سكراته متوالية ، لا يكاد يصحو من واحدة الا وتتبعها الاخرى فانه يحب ان تكون سكراته الى حد الجنون ، الى حد لا يميز بعده الديك من الحمار . وهذا لعمري منتهى الاغراق فى السكر . استمع اليه يقول :

اسقني حتى تراني ... احسب الديك حمارا

ولم تكن جلسات الشراب هذه تقتصر على معاقرة بنت الحان ، بل كان يتخللها او يعقبها امور لا اسمح لقلمي بالخوض فيها ، والحديث عنها ، بل تكفي الاشارة الى ان الشراب يستدعي وجود الجمال المذكر ، ووجود هذا الجمال وحده فى نظر ابي نواس لا يكفي ، بل لا بد من التمتع به ، واطلاق العنان لشهوات النفس الماجنة على سجيتها ...

وشعر ابي نواس فى المجون يمتاز برقة اللفظ وجمال المعنى . انه يسيل عذوبة وحلاوة ، لو يغوص فيه على الالفاظ الخشنة ، ولا يبحث عن المعاني الصعبة ، التي تثقل على الفهم . واوزانه التي يختارها سهلة قصيرة ، وقوافيه تحس لها فى الاذن وقعا موسيقيا مطربا . ان الشاعر فى هذا الباب ينطلق على سجيته ويتحرر من التكلف الذي نجده فى بعض ابواب شعره . لنستمع اليه يقول :

سألتها قبلة ففزت بها ... بعد امتناع وشدة الطلب
فقلت : بالله يا معذبتي ... جودي باخرى اقضي بها اربي
فابتسمت وارسلت مثلا ... يعرفه العجم ليس بالكذب :
لا تعطين الصبي واحدة ... يطلب اخرى باعنف الطلب

وكان شاعرنا يؤمن بالمجون ايمانا عميقا ، ويدعو اليه دعوة صارخة ، بل كان يلح فى دعوته هذه ويكررها فى كل مناسبة . ونحن نراه يأمر ساقيه ان يسقيه الخمر ، وينادي باسمها امامه مؤكدا انها الخمر ، لان حياة الانسان ولذته ، ومتعته فى السكرة بعد السكرة ..والغبن ان يرى صاحيا ..والغنم ان يتعتعه السكر.. وعلى الساقي ان يبوح باسم من يهوى وان يتجنب الاشارة والرمز ، لانه لا خير فى اللذات ان كانت سرا . ويختم مقطوعته التي اتينا على تلخيصها بقوله:

ولا خير فى فتك بغير مجانة   ولا فى مجون ليس يتبعه كفر !

ولنستمع اليه يقول ردا على سؤال عجيب :

وقائل لعل تريد الحج قلت له :   نعم ، اذا فنيت لـذات بغـداد

اليس عجيبا ان يوجه مثل هذا السؤال الى ابي نواس الشاعر الذي لم يؤمن الا بالمجون واللذة يبحث عنهما ابدا ، ويزاولهما دون حرج او جناح ؟

ومن الشواهد الناطقة على دعوته الى المجون ومجاهرته بالمعصية ، ورقة شعره فى هذا الباب قوله :

الـه بالبيض الملاح   وبقينــات وراح
لا يصـدنـك لاح   هـو عـن سكرك صاح
ليـس للـهم دواء   كـاغتبـاق واصـطبـاح
فلعمري لا يداوى الهم   بـالمـاء القـراح

تحدث سليم بن منصور قال : رايت ابا نواس فى مجلس ابي ــ وكان واعظا ــ يبكي بكاء شديدا ، فقلت اني لارجو الا يعذبك الله بعد هذا البكاء ابدا . فانشأ يقول :

لم ابك فى مجلس منصـور   شـوقا الى الجنة والحـور
ولا مـن القبر واهـوالـه   ولا مـن النفخـة فى الصـور
لكن بكائي لبكـا شـادن   تقيـه نفسـي كـل محذور

لقد اراد هذا الواعظ الطيب ، ان يحسن الظن بابـى نواس ، حين راى دمعه يسيل عن خديه ، فظنها دموع الندم والتوبة ، فاذا بالشاعر يبادر الى تصحيح ظن هذا الواعظ ، ويخبره بانه يبكي حين راى غلاما يحبه يبكي!.

ومجون ابي نواس يتجلى فى خمرياته وغزله المذكر . وهذا الغزل جريء مفرط الجراة ، يصعب على الباحث الرصيـن أن يعرض له فى مـثل هـذا المجال . فلنقصر حديثنا على خمرياته فى باب المجون ، لننتقل بعد ذلك الى الحديث عن ثورته على القديم :

قلت ان ابا نواس كان يجد حياته ولذته واقصى متعته فى الشراب والمجون . وجدير بالشاعر اذا احب شيئا ان يبالغ فى وصفه ، فيقدم صورا والواحا لهذا الشيء الذي يحب من مختلف النواحي والزوايا . والحـق الذي لا شك فيه ان ابا نواس قدم للادب العربي صورا عن الخمرة ومجالس الشراب ، كان فيها المجلي على من تقدموه او اتوا بعده . هذه الصور والالواح ستظل خالدة ابد الدهر. استمع اليه على سبيل المثال يصف الكأس التي تدار فيها الراح ، حتى كاد يرينا هذه الكأس ، بل بات فى مقدور اي رسام مفن ، ان يرسم الكأس التي وصفها ابو نـواس ، ويرينا اياها لوحة ناطقة على الورق :

تدار علينا الراح فى عسجدية   حبتها بانواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفى جنباتهـا   مهى تدريهـا بالقسي الفوارس
فللخمر ما زرت عليه جيوبهـا   وللمـاء ما دارت عليه القلانس

ولقد وصف ابو نواس الخمرة وافتن فى وصفها ،وزعم انها شهدت عصر نوح ، ثم عاد وثمود ، وقال انها تستطيع ان تتحدث باخبار الاولين . ويشبهها شاعرنا بالعـذراء تخطب الى ابيها الدهقان ، فيغالي فى مهرها ، ويمتنع عن تزويجها لشاربها ، لانه يريد ان يختار لها الاكفاء . ووصف الشاعر طعم الخمر وريحها ، وزعم انها تزيل الزكام ، وقال انها لا تطبخ على نار ، ولا تراها شمس، بل عتقت وتخمرت فى جوف الارض ، بعيدا عن الشمس والنار . ويجري ابو نواس حوارا شيقا بينه وبين الخمرة، فيزعم انها استوحشت وبكـت لما وضعها فى الدن ، وقالت انها تخشى النـار واللهب . ثـم شكت من الشمس ، فزعم لهـا ان الحر قد ذهب . فسألت عن خاطبها ، فاجابها انه هو ، وبعلها الماء العذب . وسألت عن لقاحها فاجابها : « الثلج ابرده » . وسألت عن بيتها فاجابها : القناني والاقداح ، التي ولدت فى عهد الفراعنة ، فطربت لذلك !. ثم تطلب الخمرة ان لا يشربها العربيد ولا اللئيم ولا المجوسي ، لان النار ربهم ، ولا اليهود ولا من يعبد الصلبا ... ولا اسافل الناس ، ولا عز الشباب ، ولا من يجهل الادبا . . . ولا اراذل القوم ، بل تطلب من يوقرها من السقاة ... ويختم النواسـي قصيدته ، التي اتينا على نشرها وتلخيصها « بمغازلـة » الخمرة فيقول :

يا قهوة حرمت الا على رجل   اثرى فاتلف فيها المال والنشبا

ولقد قيل ان ابا نواس وصف الخمرة وصفا لو سمعه الحسنان (الحسن البصري وابن سيرين) لهاجرا اليهـا ولعكفا عليها .

وصف ابو نواس مجلس الشراب والنـديم والخمار وقص اخبـاره الفاحشة ، ومغامراتـه الشائنة ، دون استحياء او تورع ، ذلك لانه يعد التكتم فى الرذائل مما ينقص اللذة على صاحبها . وما دام ينشـد اللذة بشتى انواعها ، وما دام يلتذ ذوقه بطعمها، وعيناه برؤيتها ،وكفه بلمسها ، وانفه بشمها، فلم يحرم سمعه هذه اللذة ايضا؟. فتراه يأمر الساقي ان يسقيه وان يطربه باسمها :

الافاسقني خمرا وقل لي هي الخمر   ولا تسقني سرا اذا امكن الجهر

ولقد انفق أبو نواس كلما ملكت يمينه من مـال فى سبيل الحصول على الكأس ، التي كان يرجحها على طعامه. واذا ذكرنا انه كان ينال من اعطيات الخلفاء ــ ولا سيما الرشيد والامين ــ الشيء الكثير ، وانه ترك بغداد الـى مصر ــ لما ضاقت ذات يده ــ فى سبيل الحصول على المال وشرب الخمر ، ادركنا مبلغ ما كان ينفقه عليها . وبالرغم من ذلك فقد كانت تضطره ظروف الى بيع ثيابه فى سبيل كأسـه :

فبعت قميصا سابريا وجبـة   وبعت ازارا مُعْلَم الطرفـين

وما كان يؤلم ابا نواس شيء مثلما يؤلمه تحريم الخمرة، ولكن هذا لم يمنعه من شربها لانه فعال للمنكرات :

ولكنني ابكي على الراح انهـا   حرام علينا فى الكتاب المنزل
سأشربها صرفا وان هي حرمت   فقد طالما واقعت غـير محلل

ولعل شهر رمضان كان اكثر شهور السنة مضايقة له، لانه يحول بينه وبين كأسه . وكان شاعرنا يصوم ، ولكن

على تذمر ومضض ، فاذا ما ضاق بشهر الصوم ذرعا افطر وشرب وافحش . فاذا ما ولى شهر رمضان ، انشرح صدره ، وذهب عنه الضيق :

ولى الصيام وجاء الفطر بالقدح ... وابدت الكاس الوانا من الملح

ولنستمع الى ابي نواس كيف يصور الثمل المغرق فى سكره ، ببيت واحد ، صورة فيها كل السحر والجمال ، صورة لا يقدر على اخراجها فى هذا الاطار البديع غير شاعرنا العبقري :

فكل شيء رآه ظنه قدحا ... وكل شخص رآه ظنه الساقي

وتعال نصغي الى ابي نواس يصور نفسه ونهمه فى شرب انراح ، صورة كلها ابداع وروعة :

ما زلت استل روح الدن فى لطف ... واستقي دمه من جوف مجروح
حتى انثنيت ولي روحان فى جسدي ... والدن منطرح جسما بلا روح

ولقد احب ابو نواس الخمرة حتى العبادة ، وتهالك على اصطباحها واغتباقها ، فلم يكن ليردعه رادع ، ولا يزعه وازع ، او يزجره زاجر . لم يعبأ بنصيحة ناصح ، ولا بلوم لائم . واسمعه كيف يهزأ بناصحه ويسخر منه :

يا من يلوم على حمراء صافية ... صِرْ فى الجنان ودعني اسكن النارا

قالوا انه وصف الخمرة وصفا يبلغ التقديس ، وانا ازعم انه وصفها فى بعض ابياته وصفا يكاد يكون عبادة . استمع اليه يقول :

اثن على الخمر بآلائها ... وسمها احسن اسمائها

قال الدكتور طه حسين فى « حديث الاربعاء » عند الكلام على هذا البيت : « اليس الشطر الاول منه تسبيحا للخمر ؟ اليس الشطر الثاني تقديسا للخمر ؟. اليس فيه الاستهزاء بالدين والسخرية منه؟. اليس يذكرك بالقرآن؟ اليس يذكرك قول الله تعالى : « ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها » ؟

الحق ان فى بيت ابي نواس كل ما تساءل عنه صاحب « حديث الاربعاء » من تقديس للخمر وتسبيح لها ، وهو قول اقرب الى الكفر والزندقة منه الى الايمان — ان لم يكن بالقطع كفرا وزندقة — . ولا استطيع ان اؤمن بان ابا نواس قال هذا فى تمام عقله ، وكامل صحوه ، وجيد تفكيره .

وجملة القول ان ابا نواس عاقر الخمرة اربعين سنة دون كلل او ملل ،او انقطاع ، اللهم الا فترات قليلة حيل بينه وبينها . وقد وصفها فابدع وحلق واجاد ، وبز من تقدمه فى وصفها ، ولم يدع مزيدا من القول فيها لمن جاء بعده .

•

واذا ما تركنا الكلام عن مجون ابي نواس ، بعد ان تحدثنا عنه بايجاز ، طاب لنا ان نتناول ثورته على القديم وحقده على شعراء الجاهلية ، الذين وقفوا على الاطلال ، واستوقفوا ، وبكوا من ذكرى الاحبة واستبكوا ، وذرفوا الدمع السخين .

لقد كان ابو نواس ثائرا على القديم ، خارجا عليه فى كل شيء . لم يقتف آثار الجاهليين ، ولم يتتبع خطوات المخضرمين ، ولم ينسج على منوال الاسلاميين شأن جميع الشعراء. فالشعراء الجاهليون وقفوا على الاطلال والدمن، واستوقفوا الصديق والخليل ، وبكوا ذكرى الحبيب المرتحل ، وذرفوا الدمع السخين على رسم درس ، او ربع خلا . ولكن ابا نواس سخر من هؤلاء الشعراء ، واشبع عملهم تهكما ، وصنيعهم ازدراء . لم يصف الخيام والاطلال ، لانه كان يقيم فى عاصمة الخلافة العباسية ، ولا يليق بمن يسكن بغداد المتحضرة ، ان يتجاهلها ويصف الاطلال والدمن ، وليس فى بغداد اطلال ولا دمن ، بل عليه ان يصف قصور الخلفاء ، ويتغنى بالحضارة ، ويشيد بالمجتمع . وكانت الخمرة والغلمان من ظواهر ذلك العصر، فافرط ابو نواس فى وصفهما ، ونعى الباكين على الاطلال، المتغنين بالابل والشاء .

ونحن نظلم ابا نواس ونتجنى على التاريخ ان زعمنا انه كان عربيا محبا للعرب . والحقيقة انه شعوبي محب للفرس ، مؤثر لهم . واذا كان الشاعر قد ذم الاقدمين من الشعراء ، فلان طريقتهم قديمة وعربية فى آن واحد ، وهو حريص على تملق الفرس ، والتقرب اليهم .

كان ابو نواس يدعو الى ترك اساليب القدماء ، لانه يحب الصدق فى الشعر وفى العاطفة . وكان يكره ان يقلد معاصروه من الشعراء ، اساليب القدامى ، لان لهؤلاء الفاظهم ومجتمعهم وبيئتهم . وقد تطورت لغتهم كما تطورت حياتهم . ومن اجل ذلك يجب ان تتطور لغتهم لتنسجم مع الحياة الجديدة . ومن مظاهر هذه الحياة الترف ولين العيش . ومن واجب اللغة ان تلين وتتطور ، ومن واجب الشعراء ان يتخلوا عن اساليبهم القديمة .

وكان شاعرنا كثير الالحاح على الشعراء فى تغيير اسلوبهم، شديد التهجم على الجاهليين والسخرية منهم . لنستمع اليه يقول :

عاج الشقي على رسم يسائله ... وعجت اسأل عن خمارة البلد
يبكي على طلل الماضين من اسد ... لا در درك قل لي من بنو اسد ؟
ومن تميم ، ومن قيس ولفهما ؟ ... ليس الاعاريب عند الله من احد
لا جف دمع الذي يبكي على حجر ... ولا صفا قلب من يصبو الى وتد
كم بين ناعت خمر فى دساكرها ... وبين باك على نؤي ومنتضد
دع ذا عدمتك واشربها معتقة ... صفراء تفرق بين الروح والجسد
من كف مضطمر الزنار معتدل ... كأنه غصن بان غير ذي اود

واذا نحن امعنا النظر فى هذه الابيات ، ادركنا السخرية من الشاعر القديم ، الذي نعته ابو نواس بالشقي ، لانه وقف على رسم يناجيه ، بينما ابو نواس يسأل عن خمارة البلد !.. ثم هاجم الشاعر قبائل اسد وتميم وقيس ومن لف لفهما ، وزعم ان « ليس الاعاريب عند الله من احد ». وفى هذين البيتين تظهر شعوبية ابي نواس باجلى معانيها.

ولنصغ اليه كيف يدعوعلى من يبكي على الاحجار، ويهاجم من يصبو الى الاوتاد . وينتهي من ذلك الى المقارنة بين من يصف الخمرة ويعيش للذته ، وبين من يبكي على الراحلين الذاهبين . ولنتأمله كيف يدعو الى ترك القديم وشرب الخمرة : « دع ذا عدمتك واشربها معتقة ... »

مثل هذا الشعر فى ديوان ابي نواس كثير . والواقع ان شعر النواسي كان دعوة الى الجديد فى كل شيء . كان يكره القديم ، ويؤمن بانه لا ينسجم مع العصر الذي عاش فيه . وهو يريد ان يعبر بشعره عن عصره وبيئته ، ولا يريد ان يعبر عن العصر الجاهلي . ولو فعل ابو نواس غير ما فعل لكان كاذبا ، ولحرم الادب العربي من صور الحياة الصحيحة فى عصره .

وها نحن امام مثال جديد من شعره الذي يدعو فيه الى الجديد ، ولكن دعوته هنا تمتاز بالسخرية والتهكم واللذع :

قل لمن يبكي على رسم درس   واقفا ، ما ضر لو كان جلس !
تصف الربع ومن كان بـه   مثل سلمى ولبينى وخنس
اترك الربع وسلمى جانبا   واصطبح كرخية مثل القبس

ففي هذه الابيات ـ كما قلت ـ كثير من السخرية والتهكم واللذع بمن يقف ليبكي على الرسوم الدوارس ، وفيها دعوة مكررة الى ترك البكاء على الاطلال والدمن ، وشرب الراح .

ويبدو ان ابا نواس كان شديد النقمة والحقد على امريء القيس وصحبه من الجاهليين ، اذ انه كثيرا ما كان يكرر نصحه لهم ، وسخريته منهم ، وتهكمه بهم . لنستمع اليه يقول :

لا تبك ليلى ولا تطرب الى هند   واشرب على الورد من حمراء كالورد

ولنستمع اليه ايضا :

دع الرسم الذي دثرا   يقاسي الريح والمطرا
وكن رجلا اضاع العمر   فى اللذات والخطرا

وابو نواس لم يبك الدمن والاطلال ، كما فعل امرؤ القيس وطرفة بن العبد وبقية الجاهليين من الشعراء ، ولكنه بكى اطلالا من نوع آخر ... بكى اطلال جماعة من صحبه الماجنين ، بعد ان اعتكفوا اياما وظلوا فى سكر متواصل ، فقد بكى شاعرنا اطلالهم ، وآثار جر الدنان على التراب ، والريحان الاخضر منه واليابس :

ودار ندامى عطلوها وادلجوا   بها اثر منهم جديد ودارس
مساحب من جر الزقاق على الثرى   واضغاث ريحان جني ويابس

ومما امتاز به النواسي وعد من تجديده ، الجهر بالفسوق ، والاكثار من المعصية الى حد الجنون ، حتى انه كان يعتقد ان كتمان المعاصي مما ينقص على المرء لذته . اما سمعته يقول :

الا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر   ولا تسقني سرا اذا امكن الجهر
فعيش الفتى فى سكرة بعد سكرة   فان طال هذا عنده قصر الدهر
وما الغبن الا ان تراني صاحيا   وما الغنم الا ان يتعتعني السكر
فبح باسم من اهوى ودعني من الكنى   فلا خير فى اللذات من دونها ستر
ولا خير فى فتك بغير مجانة   ولا فى مجون ليس يتبعه كفر

فهل سبق ابا نواس الى مثل هذا شاعر ؟ وهل جهر بمثل هذا الفسوق قبل ابي نواس فاسق او ماجن ؟ ان الجهر بالفسوق ، والتفاخر بالمعصية والمجون مما لم يسبق ابا نواس اليه سابق ، فى مثل هذه الصورة وهذا الشكل.

وقد ولد ابو نواس معان كثيرة وخلقها خلقا جديدا ، ويحق له ان يفخر بهذا دون ريب . من ذلك قوله :

دع عنك لومي فان اللوم اغراء   وداوني بالتي كانت هي الداء

وقد قيل ان الاعشى وقيس ليلى سبقاه الى هذا المعنى فقال الاول :

وكاس شربت على لذة   واخرى تداويت منها بها

وقال الاخر :

تداويت من ليلى بليلى وحبها .   كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

ترى اي الابيات الثلاثة اكثر جودة ، واقوى تركيبا ، واقوم معنى ، واوضح غاية ؟. بل اي الثلاثة اكثر ذيوعا وانتشارا بين طبقات الادباء ؟.. وما اراني بحاجة الى ان اشير الى بيت ابي نواس .

وشاعرنا الضاحك لم يكتف بنعي الاطلال ، والقدح بمن وقف وبكى واستبكى ، ولا بالثناء على الخمرة وتقديسها، بل تعدى ذلك الى وصف مجالس الشراب وصفا يكاد يقرب من القصة ، التي قصر بها ادبنا العربي ايما تقصير . ولست ارغب فى الاطالة بسرد الشواهد وضرب الامثلة على ما اقول ، بل اكتفي باول شاهد تقع عليه العين فى ديوانه. وانا واثق كل الثقة من ان فى الديوان شواهد كثيرة ، قد تكون خيرا من هذا الشاهد . ففي قصيدته التي مطلعها :

واحور ذمي طرقت فناءه   بفتيان صدق ما ترى فيهم نكرا

يروي لنا حادثة من حوادث مجونه وفسقه ، هذه خلاصتها :

« قرع ابو نواس وصحبه باب الذمي الجميل ، احور العينين فهب الذمي مذعوراً خائفا ، واقترب من الباب وسأل عن الطارقين ، فاخبروه بانهم عصبة جاءوا سعيا وراء بنت الحان ، فهدأ روعه واطمأن . ثم فتح الباب ، فظهر الذمي فتى حسن الصورة والمنظر فسأله ابو نواس عن اسمه فاخبره به . ثم اعلموه بانهم راغبون بقهوته المعتقة ، فاجابهم الى سؤلهم ، وقال ان خمرته « قد احتجبت فى خدرها حقبا عشرا » (اي نحو الف سنة) . ثم ادوا له خمسة دنانير ثمنا لخمرته ، وجلسوا يحتسون مع الساقي الجميل . ووصف ابو نواس بعد ذلك مجلس الشراب والساقي ، وتغزل بحسنه وعذوبة حديثه ».

وبعد فابو نواس كما وصفه طه حسين « صاحب الجديد وحامل لوائه ، وخصم القديم واشد اعدائه » . وليس من العجيب ان يكون شاعرنا مجددا مبدعا ، اذا علمنا انه كان يحفظ الشعر لستين امرأة من الشواعر ،

من قريتي الى مرهفة

تذكري وانت فى المرآة تصلحين ثوبك الحرير
وتبسمين فرحة اذا رايت حمرة الزهور
على الخدود تزدهي وفى العيون غردت طيور
وتسكبين فوق وجهك المضيء موجة العطور
تذكري بانني هنا مع الذين زيتهم يضيء للعصور
طريقها وفى طريقهم يموت كل نور
مرآتهم وآه لو رايتهـا الطين والغدير
الكحل فى عيونهم دموعهم ولوعـة تثير
غرامهم قيثارة ينوح فى جراحها ضرير
وناعم الاعطاف غير انه فقير
تذكري وانت تفتحين كيسك الاثير
صندوق اغنياتك المطرز الوثير
صندوق ذكرياتك المليء بالسرور
تذكري بأن ذكرياتهم هنا قبور
فان اتيت ربما اتيت رغم وقتك القصير
فأهل قريتي سيحرقون من جمالك البخور
وطيبون فاحذري اياك أن اتيت والغرور
تذكري بأنهم معلقون فوق اجرد الصخور
ورغم ذاك لو نظرت : فى عيونهم صلابة الدهور
وفى العيـون ترقد البحـار يستحيل فى مياهها العبور
فان اتيت ربما اتيت رغم وقتك القصير
ايـاك عندما ترينهم ايـاك والغرور
فهؤلاء زيتهـم يضيء للعصور
طريقها وفى طريقهم يموت كل نور

القاهرة — **محمد ابراهيم ابو سنه**

فما بالك بالرجال . . . ومعنى ذلك فى نظري انه كان يحفظ معظم الشعر العربي .

وابو نواس ، بعد هذا ، شاعر التجديـد وحامل لواء الثورة على القديم فى ادبنا العربي . وشعره يكاد يكون كله تجديداً وثورة . انه شاعر نسيج وحده ، لم يجاره فى فنه مجار ، ولم يبزه بخمرياته ومجونه وتجديـده شاعر . ولئن اساء ابو نواس الى العرب فى بعض شعره، وتنكر للاخلاق بمجونـــه وعبثه ، ومجاهرته بالفسوق والعصيان ، فما احسب الا ان الله غافر له بعض ذنوبه ؛ بعد ان ندم وتاب وهو على فراش الموت وقال مستغفرا :

دب في السقام سفلا وعلوا ... واراني اموت عضوا فعضـوا
ليس تأتي من ساعـة بي الا ... تقتضيني بمرهـا بي جـزوا
ذهبت جدتي بطـاعـة نفسي ... وتذكرت طاعـة الله نضـوا
قد اسأنا كل الاساءة يا رب ... فصفحـا عنـا الهي وعفـــوا

دمشق — **عبد الغني العطري**

وتوقفنا اخيرا امام الباب الكبير الاسود ، رفعت والدتي المطرقة السوداء وهوت بها اولا وثانيا وانتظرنا عربات مسرعة على الطريق ، بائع غزل البنات يقف على ناصية الشارع، ورفعتها وهوت بها مرة اخرى اولا وثانيا ، ففتح الباب قليلا ، دفعته والدتي بيدها ففتح تماما ، قفزت الى الداخل انا ، واسرعت الى الحبل الطويل الذي يربط قفل الباب ممتدا من صحن الدار الى غرفة جدتي ، وقبل ان امسك به واركض كقطار الشارع الكبير ، قبضت اصابع امي على كتفي وقالت وهي تحدق من خلال الباب الزجاجي :

— اهدا

ثم جرتني مسرعة نحو الباب وقالت وهي تدير قبضته :

— عند جدتك زائرات فكن متعقلا

دخلنا وراسي يختفي بخصر امي ويدي ضائعة في يدها

— آه لا لا .. لا ، لا ، كنت اجمع واقول هذه ستلم كبرتي ، هذه ولدي ، اجمع وابخل على نفسي لكبرتي .. لا لا .

ازحت وجهي لارى ، انها تقوم من على المقعد وتلطم وجهها وتعود فتجلس ثم تنهض وتلطم وجهها وتجلس وتنهض وتجلس ولا يبدو على زوجة خالي الكبيرة بانها .. تلعب .

قالت السيدة الجارة لوالدتي : تفضلي .. اجلسي هنا .

فافرجت امي عن يدي وبقيت في الغرفة الكبيرة حائرا ، كلهن في حلقة هنا ، وهناك بعيدا في اقصى الغرفة ، قرب النافذة المطلة على الشارع : جدتي .

مشيت وراء الحلقة ووصلت اليها ووقفت امامها : جدتي ، وظلت ساهمة، ابتسمت لها ، اشرت الى الاوسمة الثلاثة على صدري ، وظلت ساهمة، شددت بضفيرتها البيضاء الطويلة وعدت اقول : جدتي .. جدتي

فازاحت لي مكانا بقربها على الاريكة فصعدت وجلست متضايقا كأن الاستاذ راشد موجود معنا في الغرفة .

— لا .. لا لا .. آه كنت اجمع واقول ..

— انت .. انت .. انت وزوجك اثنان اما انا ، سبعة اولاد وابوهم ، سبعة ، ويلي انا كيف ، كيف سنعيش .. سبعة وابوهم ..

وتقول السيدة الجارة : هدئن من روعكن ، البركة في ازواجكن .. الصحة أهم

— سبعة وابوهم .. تقول صحة.. صحة

نظرت الى امي متوسلا اليها حبذا لو نعود الى المنزل ، ولكنها مشغولة، منصرفة عني ، تجلس بين زوجة خالي الكبيرة وزوجة الخال الثاني . نزلت من قرب جدتي وتطلعت الى



بقلم الانسة رينه عبودي

بائع غزل البنات ثم رسمت باصبعي على الزجاج ، طائرة وبطة ثم طائرة اكبر ، وفجأة هزت كتفي واعطتني حبة ملبس وردية ، وضعتها في فمي وابتسمت لجدتي ثم عدت ارسم على الزجاج بطة تركب طائرة ، وسمعت صوت بكاء وشهيق فالتفتت مسرعا ، ان الاثنتين في بكاء شديد

— تسكن عندي ؟ لا ، لا ، انا كل يومي خارج البيت ، ستموت وجهها والحائط .. ستموت

— سبعة وابوهم .. سبعة يصرخون في البيت ، كيف تسكن مع صياح سبعة قولوا ستجن ، ستجن.



وتقول السيدة الجارة : هل ترمون بام الشباب على الطريق ؟

وتقدمت الخادم العجوز بفناجين القهوة وقالت بصوتها الاخن :

— الله يرحمك .. الله يرحمك لو كنت خصصت لهذه المسكينة دارا او دكانا .

وتقول السيدة الجارة : من كان يظن ان الحظ سينقلب مع اولاده .

تضع الخادم الصينية الفارغة على ركبتيها ومن مقعدها المنخفض قرب الباب تغمغم : حظ، حظ ، الله يرحمه كان يجيء بالحظ .

وتلطم الكبيرة وجهها المشدود وتقول : كنت اجمع واقول ..

وتصفق الهواء بيدها الصفرى وتقول : سبعة وتسكن عندي ؟

وكانت السيدة الجارة تنظر الى جدتي فنظرت الى جدتي ، كانت في عينيها مياه ، ومنديل شعرها الرمادي يكاد يقع على ضفيرتيها ، وشد حبل الباب على عنقي ، الصقت وجهي في معطفها ، معطفها الذي لا تخلعه ، وكانت رائحة جدتي كرائحة اوراق الشجرة التي وضعها والدي في برميل كبير على منعطف درج منزلنا .

قالت السيدة الجارة : ستحرم من نافذتها ، كنت اراها من منزلي ، ستحرم من نافذتها ، مسكينة لو ابقت على مصاغها ولم تعطيه لهم..

فتصيح الكبيرة : وانا ، انا ، صرة هكذا ، ذهب ، طارت .. طارت

وتردف الثانية : والاولاد ..كيف نتدبر امرهم ؟

فقلت لجدتي : لماذا طارت ؟

قالت جدتي : اسمع يا صغيري..

فارهفت السمع ، ولكنها صمتت.

قلت وانا العب بضفيرتها : اين طارت ؟

قالت : لا اعلم

قلت : امراة خالي تريد صرة ذهب ..

فابتسمت جدتي

قلت لها : لماذا تريد صرة ذهب ؟

ذوائب من حزن

لولاك لما اتقدت نجمة فى السماء
شوقا لعتمة الليالي
ايها الحزن ،
ولما ارتعشت نغمة خالده على شفاه الوجود

* * *

ما معنى ان تغرق قوارب احلامنا فى رمال الشاطىء
ولا ندر أن نرحل مع السنونو المسافر الى البلاد الدافئة
عندما يجمد برد الشتاء دماء عروقنا

* * *

يكاد يعدمنا ذلك الصوت القادم من البعيد
ونحن نحفر باهدابنا المنتصبة
مسارب اقدامنا فى الصخور
قاصدين ان نبلغ ملاعبنا الضاحكةللشمس ولا نصل اليه.
ذلك الصوت الصاخب كالحياة

* * *

انها ينابيع ومرايا
قلوب الضاربين فى الليل على بوادي الالم
تلك التي تحمل فى جوانبها الطيبة
تراب الفراديس المسروقة والاغنياتالمصلوبة على الخوف

* * *

اقلع ايها الشراع الباسم للغيوم
يا ومضة على شفاه البروق
انت ايها الحزن الخلاق فى بلادي
فما زال بعد للمواسم المحروقة فى سهولنا
حنين الى البيادر المزروعة بالحصى
والتماع دموع مائجة
على دروب العطاء الاخضر

دمشق — زهدي خليل

قالت : لان زوجها لم يبق عنده ذهب ..

قلت لها : والدي اعطاني قطعتين ذهب ، قشرت الذهب واكلت الشوكولاته من داخل القشرة ، اتحبين الشوكولاته ؟

قالت جدتي : اسمع يا صغيري .. وصمتت،فنزلت من قربها ووقفت قرب النافذة وكان بائع غزل النبات قد ذهب ورسمت باصبعي طائرة كبيرة .. كبيرة هكذا وصرة مربوطة فى ذيلها ، وفجأة صحت بجدتي :

ــ لو ارسل لك الله فى الطائرةصرة هكذا .. من الذهب ، ماذا تفعلين بها ، قولي يا جدتي قولي .

فابتسمت ولم تجبني فقلت لها : قولي .. ستشترين بيتا كله نوافذ وعشر بطات مثل بطات بركة الحديقة العامة و .. قولي قولي انت يا جدتي

فقالت جدتي : لو ارسل الله لي صرة ذهب لاعطيتها للاولاد ، اولادي، حتى لا يتقاتلوا .

حلب — رينه عبودي

الحقيقة والواقع

بقلم الدكتور فؤاد حداد

كل واحد منا يريد ان يصل فى كل امر من الامور التي تهمه الى معرفة الحقيقة ، الحقيقة المجردة العارية ، كما يقولون ، او الحقيقة التي لا موازبة فيها ولا غموض ، فهل هذا ممكن ؟ وهل نستطيع اذا سألنا شخص ما « ما هي حقيقة هذا الامر يا أخي » ان نجيبه اجابة حاسمة قاطعة « الحقيقة هي كذا وكذا » .

نستطيع ان نجد امورا تبدو للجميع حقائق ثابتة كقولنا مثلا « أن الارض كروية » فبالرغم من ان شعوب العالم القديم قد اعتقدت الاف السنين ان الارض منبسطة الا ان هذا لا يلقي اي ظل من الشك على ان « الارض كروية » حقيقة ثابتةاثبتها العلم اثباتاقاطعا . ومن هنا يستنتج البعض فيقولون أننا اذا أختلفت آراؤنا فى حقيقة امر من الامور فعلينا ان نلجأ الى العلم ليكون الحكم الفاصل بيننا .

ولكن العلم ينظر الى الامور نظرة موضوعية وفى الحياة اشياءكثيرة لا يمكننا ان ننظر اليها نظرة موضوعية بحتة. مثلا اذا قلت مشيرا الى زهرة حمراء « هذهزهرة حمراء » وسألنا العلم عن رايه فى هذا الامر لكان الجواب ان الزهرة هي بالنسبة لنا حمراء فهي قد تبدو بمظهر آخر لعيون اخرى غير عيوننا ففي عيون النحلة مثلا بضعة الاف من العدسات ولهذا فمن الطبيعي ان تبدو الزهرة التي هي بالنسبة لنا حمراء ذات لون اخر مختلفتماما عن الحمرة للنحلة أو للصقر . وكيفيحق لنا ان نحكم عيوننافى وضعها الحالي وهي التي لو اختلفت فى تركيبها اختلافا بسيطا لرأت الزهرة غير ما تراها الان . كل هذا والزهرة ولونها كما هما لم يتغيرا على الاطلاق .

نستنتج من ذلك أن الحقيقة ، شأنهاشأن المبادىء الاخلاقية ، تتفاوت بالنسبة للجماعات والافراد فهي امر نسبي بمعنى ان ما هو حقيقة بالنسبة لي قد لا يكون حقيقة بالنسبة لك .

والان ما رايكم فى حقيقة هذه العبارة « انهزم الفرس فى معركة القادسية » . انها حقيقة تاريخية معروفة ، ولكن لنقف هنيهة نتأمل فى هذه العبارة . اننا اخترنا حادثة معينة فى التاريخ وتطلعنا الى نتيجتها العسكرية دون الاهتمام باي شيء اخر يتعلق بظروف المعركة والامور التي مهدت اليها او التي نتجت عنها فقد يقول قائل « ان الفرس هم الذين انتصروا فى معركة القادسية ، ذلك لان الفرس نتيجة لهذه المعركة الفاصلة تركوا عبادة الاوثان واندمجوا بالعرب فزادت حيويتهم ونشطت افكارهم وازدهرت بلادهم وكثر المشتغلون منهم بالعلم والادب واستفادوا اعظم الاستفادة فى النواحي الثقافية والتجارية . فهل يمكن ان يكونوا قد فشلوا فى معركة كانت فاتحة ذلك العهد الذي حمل لهم كل هذه البركات والخيرات » .

نستنتج من ذلك نظرية مشهورة عن الحقيقة وهي انه لا يمكننا ان نعرف حقيقة أمر من الامور الا متى عرفنا كل شيء يتعلق بذلك الامر لان كل شيء فى الكون يعتمد على كل شيء اخر ، ومعنى هذا ان حقيقة امر بسيط او حادث بسيط لا يمكن الوصول اليها الا متى عرفنا كل المعلومات عن كل شيء اخر فى الكون .

وتوضيح هذه النظرية بسيط جدا فاذا أشعل المرء عود ثقاب وسأل ما الذي سبب الاحتراق اجبناه انه الاحتكاك . ولكن لولا مادة الفوسفور لما كان للاحتكاك اثر ولو لم يوجد الاكسجين فى الهواء لما اشتعل الفوسفور ثم ان الغازات الاخرى فى الهواء هي التي جعلت الاكسجين بكمية مناسبة للاشتعال . وهذه الغازات تعتمد على دورة ثاني اكسيد الكربون التي تعتمد على المادة الخضراء فى النبات التي تعتمد على اشعة الشمس التي تعتمد على الاحتراق .. الخ ،والواقع اننا نستطيع ان نظهر ان كل شيء فى الكون قد اشتركوساهم فى اشعالعود الثقابهذا .

ولما كانت معرفة كل شيء فى الكون معرفة تامة امر مستحيل فانه ينتج عن هذا ان معرفة الحقيقة الكاملة لاي شيء من الاشياء امر مستحيل ايضا ولا يمكن للانسان ان يأمل الا فى معرفة قدر محدود من حقيقة اي امر يريده . وتتحكم فى ذلك القدر معرفتنا بالظروف السائدة والنتائج والمسببات . وكلما زادت معرفتنا العامة زادت قدرتنا على الحكم واصبح حكمنا اقرب الى الحقيقة عن ذي قبل . وهذا يبين لنا كيف ان المختصين فى امر من الامور يكون حكمهم فيه اقرب الى الحقيقة من حكم غيرهم غير المختصين ذلك لانهم يعرفون عما يتعلق بالموضوع اكثر مما يعرفه غيرهم من الناس .

ولا بد لي ــ قبل ان انتقل الى الحديث عن نظرية اخرى ــ ان اذكر نقطة الضعف الرئيسية فى هذه النظرية، ذلكانها تناقض نفسها بنفسهافهي من جهة تقولأننا لانستطيع ان نعرف حقيقة شيء ما الا متى عرفنا حقيقة كل شيء فى الكون ومن جهة اخرى تدعى أنها نظرية صحيحة فكيف نستطيع ان نقبل هذه النظرية على انها حقيقة وهيمنفصلة مستقلة قائمة بذاتها .

وهناك نظرية مهمة اخرى عن الحقيقة لعلها رد فعل تام للنظرية السابقة ، فهي تسلم اننالا نستطيع معرفة الحقيقة الموضوعية ثم تقول ولهذا يجب ان نفتش عن الحقيقة من طريق اخر هو طريق الفائدة التي تعود على الشخص من اعتقاده بامر ما فاذا اعتقدت الام التي ثكلت بابنها ان ابنها سيظهر لها كل مساء ويتحدث اليها كان ظهور الابن بالنسبة للام حقيقة كاملة تامة .

ويعلق على ذلك الفيلسوف الانكليزي وليم جيمس فيقول : « الحقيقة تدل على كل شيء مفيد وصالحلاغراض

الى عبد الباسط الصوفي

شكري هلال

قلب ، لا تنصدع لفدح المصاب   والزم الصبر راجيا للثواب
ذاك امر الاله فى الناس والكون ، وكل مصيره لذهاب
ان يكن غيب الممات صديقي   فعزائي اني غدا لغيابي
ان هذي الحياة حلم كذوب   وارانا نجري وراء السراب
كل يوم نبني ونعلي قبابا   ويد الموت تنبري للخراب
وتزين المنى الحياة ، فنمضي   اثرها ، والردى على الابواب
كل يوم مودع لي خلا   لرحيل ، لا ينتهي بالاياب
اين صحبي ؟ ياقلب، اين الندامى ؟   واحباي ؟ كلهم فى التراب
انا وحدي ، ما زلت امضغ يأسي   وطعامي تحسري وشرابي
يا صحابي ، وكنتم نور عمري   ما بقائي من بعدكم يا صحابي
يا صديقي ، وللصداقة عندي   حرمة ، مثل كعبتي ، وكتابي
شهد الله لم تغب من خيالي   انت طيف تضمه اهدابي
انت فى القلب ، ملء عيني وجه   باسم ، شارد بافق الضباب
وبسمعي شعر يسيل عذابا   وجراحا ، وخيبة فى التصابي
واغاني الضياء للقمر الجذلان   يهدي الصفا للاتراب (١)
وبنفسي قلب نقي حزين   يقطع العمر فى اسى واكتئاب
لم نزل فى الدروب نمشي شريدين ، وفى الاعين انطفاء الرغاب
غرباء ، تبكي علينا الليالي   ودروب الضياع والاغتراب
لم نزل والورود تصغي الينا   والسواقي دموعها فى انسكاب
والغرام القتيل قصة قلبين ، بدنيا كثيرة الاوصاب
تتلوى الروحان ، في قبضة العادات ، والمهجتان مأوى الحراب
قلبنا الفر ، طهرنا ، المثل العليا ذنوب ، تجزي بأقسى العقاب
والفتاة التي بنينا لها ،المجد ، رمتنا من حالق للسحاب
قد منحنا الهوى فؤادا وعمرا   فجزانا الاسى مدى الاحقاب
يا لهول المأساة ، نفتح جفنا   قرحته النوى ، وحب الكعاب
لنرى ليل خيبة ، ليس يطوى   وفراغا في العمر والآراب

معينة معروفة » ويقول ايضا : « ليست الحقيقة سوى مقياس للتفكير فهي تشبه العدالة فى القضاء ، فالعدالة مقياس لنزاهة القضاء » .

ويقول الفقيد البروفسور جود استاذ الفلسفة في جامعة لندن سابقا : « ترى هذه المدرسة ان التحليل المنطقي يجب ان تكون له دائما غاية عملية مفيدة . وحقيقة القوانين تتقرر على ضوء ما تعود به علينا من فوائد عملية حين تطبيقها . وبعبارة اخرى ان الفائدة العملية هي محك الحقيقة كما نعرفها » .

ولكن من الواضح انه ليس من السهل دائما ان يقرر المرء بين امرين ايهما اكثر فائدة من الاخر ، وبذا اقرب الى الحقيقة من الاخر .

هذه هي اهم النظريات فى شرح معنى الحقيقة . فاذا وجدت نفسك يوما تتكلم مع صديق لك عن حادث بسيط وسألك مستفسرا : « ما هي حقيقة هذا الحادث يا صديقي ؟ » تذكر انه سيطلب منك الحقيقة وهو مطلب عسير لم يستطع رجل ان يوفيه حقه حتى الان بالرغم مما تقلب على العالم من فلاسفة ومفكرين واذا استطعت انت ان تجيب عليه اجابة صحيحة كنت اعظم من ذلك الفيلسوف اليوناني الذي قضى حياته يسأل « ما هي الحقيقة ؟» ولكنه لم يسمع لا فى نفسه ولا فى غيرها من النفوس جوابا شافيا على هذا السؤال « البسيط » .

لندن   فؤاد حداد

خيبـة ، تحـرق الجوانح والروح   وليـل البكـا لغـير انجيـاب
فلنداو الجـراح بالبعـد ننسى   فيـه ظلـم الحيـاة والاحباب
تلـك افريقيـا ، قيـود ثقـال   وظـلام صباحـه فى ارتقـاب
قـد حسبنا الحيـاة تحلو لديها   فـاذا حلوهـا مـرارة صـاب
أجحيـم حياتنـا ، اينمـا سرنا   ويـأس مصاحـب للركـاب
أحيـاة ؟ وقـد خلـت من معانيها   وجف الشـراب فـي الاكـواب
أنغنـي ؟ مـاذا تفيـد الاغـاني ؟   فى وجـود ، لـم يعـن بـالآداب
فى ظـلام الجمـود نغـرس وردا   ليسـر الانـام بـالاطيـاب
نحـن لـم نـأت للحـاة اختيارا   فليكـن حقرنـا لهـا بالذهـاب
اشهـر ، والدنـى تفيـق على (سيزيف) ميتـا ، مسجى على الاخشاب
ويعـم الاسى ، ففـي كـل قلب   لوعـة ، والوجـوم فـي كل باب
انت كنت الشجـاع حطمت قيدا   لـم يزل خـانقـا على الارقـاب
واخيرا رجعت ، يبكـي عليك الشعر، ينعـي الخريف زيـن الشبـاب
كنت بالامس خلف نعشك امشي   بخشـوع أجتـر مـر اغترابي
تتهـاوى الذكرى ، فينهش صدري الحـزن ، والوجـه آيـة الاكتئاب
وطيوف الماضي تسـائل قلبـي   مـات حقا ؟ ؟ والدمع كان جوابي
عبثـا أكبـح الدمـوع ، فقلبـي   يبتغـي ان اذيبـه فى انتحـابي
لست ابكيـك ، انمـا فيك ابكـي الشعـر يزهـو باجمـل الاثواب
المروءات ، والصـداقـة تبكيـك ، ونبـل الاخـلاق والآداب
كيف تمضي ، ولـم تـودع رفاقا   كنت فيهم روح العلـى والطلاب
ايـن بيت تبنيه مـن تعب القلب ،وشهـق المنـى وطين العـذاب
قد بذرت الكفاح ، مالـك تمضي   دون جنـي ليـانعـات الرطاب
وجمعت (الديـوان) تحرق روحا   فيـه حتى يبـدو بأبهى اهـاب
لهف نفسي ، تمضي ، ولم تبصر الاضواء (ابيـات ريفنا) فى كتـاب (٢)
هـذه الاغنيـات ، ينشرهـا الفجـر ، وتغـدو محجـة الاعجاب
افقهـا عـالـم الخلـود ، مـزان بالريـاحين ، عـابق بالمـلاب
يـا رفيق النضال ، الم تحن هاما   لعتـي يسـود بالارهـاب (٣)
جبهـة ، يشمخ الابـاء بهـا زهوا ، وتعلـو آمالهـا للسحـاب
وانطلاق لعالم ، عبقـري الحسـن ،جـم الضيـاء ، جـم الصعـاب
وكفـاح بالكف ، والـروح والشعـر ، ليـزهو تحـرر فى الـروابـي
وحـدة العرب تمـلأ الارض نورا   وسـلامـا للنـاس والاعـراب
يـا رسول التحرر الحق ، تمضي   من كفـاح الاعـراب للاغراب
لهـب الحق كنت فى غيهـب العرب،وسيفـا لم يحتبـس فـي القـراب
يا رفيـق النضال ، يسأل عنك الدرب ، قـل لي ، مـاذا يكـون جوابي
لم يـزل موطـن العروبة ، يـرجوك ليوم ، جهـم الملامـح ، كـاب
ودروب النضـال ، تفتقـد المعلـم فـي صولـة الكمـاة الغضاب
يـا خطيب الاحـرار ، حـن لـك المنبـر ، فـي عيـد شعبـك الغلاب
يـا رفيق النضال ، يكبو جوادي   حيـن ارثيـك ، بل يموت خطابي
عفـو رب الغموض والسحر عني   ان تلـوت الصـلاة فى المحـراب
مـا رثائي شعـرا ولكن فؤادي   مزقتـه ظلما ايـادي المصـاب

حمص   **شكري هلال**

---

(١) اشارة الى ابياته الحزينة التي تتحدث عن خيبة حبه ، والى قصيدته «مأدبة للقمر» التي كانت آخر ما اسمعني اياه (٢) كـان سمى ديوانه الذي يجمعه ليطبع «ابيات ريفية»
(٣) اشارة الى نضاله فى فترة حكم الشيشكلي

ادبنا المعاصر والشعر

بقلم عيسى ميخائيل سابا

اذا القيت نظرة على ادبنا المعاصر وشعرنا المبتور ، اخذتك رجفة اسى على ما صار اليه ادبنا الذي اراد ان يقلد الغرب في اوزانه فباء بالخسران ونسي ان لكل لغة مقوماتها واساليبها وبيانها ، والشعر العربي مميز في موسيقاه ووزنه وصوره واخيلته وكلها تتراوح بين الحقيقة والمجاز.

والشعر ما كان في وقت من الاوقات كلمات مقطعة كقول احدهم :

سأم حياتي وحبي منهار
اسهر ليلي وانام النهار
من اجلك يا حبيبتي

فما معنى هذا القول وما هو الجمال الذي يكتنفه والخيال المحلق والشعر الموهوب ، اليس هذا هراء وقولا لا معنى له.

زعم البعض ان الشعر موسيقى يتناول اللفظ دون المعنى ويكفي ان تكون الكلمة رشيقة خفيفة سواء ادت المعنى ام لم تؤده ، وعندهم ان جمال الصوت ونبراته والجرس يلبسها الحلة اللائقة بها ، وينزلها منزلة ما يسمونه شعرا ينكبون به الادب ويسفون به الى الابتذال ، وفاتهم ان الشعر وان شارك الموسيقى في بعض نواحيها ، فهو مقيد بالمعنى الذي يشارك فيه العقل لاستكمال اللذة ، والموسيقى في بعض نواحيها ما كانت يوما شعرا على اطلاق المعنى ولن تكون ، لان الشعر مشارك لها باللحن والاطراب ، والموسيقى لا تشاركه بالمعنى ، وكم من ابيات تستوعبها لمعناها ومبناها وترقص لها طربا ، وانت بعيد عن لحنها الموسيقي ، وذلك بين ظاهر لكل من اوتي سمعا مرهفا وذوقا رفيعا ، لان لذة الموسيقى تتناول الاذن والنفس معا وهما يطربان باللحن الحسن والتوقيع المرقص ، فتسكر الروح وتنخطف الى ملاء تحسه احساسا روحيا ، لا تقدر ان تعبر عنه بكلمات ، فالموسيقى روح والروح لا تلمس باليد ولا يجري عليها التصوير ، فجمالها الحان وقعتها نفوس موهوبة اعطيت هبات تظهرها اصواتا ، ويتعذر عليها ان تظهرها كلمات ، بعكس الشاعر الذي اعطي ان يجمع بين الصفتين اللحن والمعنى ، والشعر الحقيقي الخالد ان عري عن صفة من هاتين الصفتين كان صوتا يضمحل ويتبدد في تموجات الهواء فلا يكتب له خلود ، كما في قول بعضهم :

سيري على مهل — يا نبضة الحب
خفق النعال ضحى — كالخفق في قلبي

قلت ان الشعر يشارك الموسيقى لانه لفظ يعذب في الاذن سماعه ، وتطرب له النفس ، ويسوغ معناه للعقل ، فهو غير مقتصر على اللحن حسب ، لان المشاعر كلها تشترك باستساغته ، فتأخذ كل شاعرة ما يناسبها ، ومن مجموعها يتذوق جمال القول واللحن ، فشاعرة العقل تتطلب المعنى وشاعرة السمع تتطلب الجرس وشاعرة الحس تتطلب الكلمة اللينة البينة العذبة ، وهي تقع في النفس موقع الخمرة الدابة في الاعصاب فتخدرها ، وتستوحي النفس نشوتها ، وعمل اللحن في الشعر كما يقول ابو الوليد ابن رشد في تلخيص كتاب ارسطو هو : « انه يعد النفس لقبول خيال الشيء الذي يقصد تخيله ، فكأن اللحن هو الذي يفيد النفس الاستعداد الذي به يقبل التشبيه والمحاكاة للشيء المقصود تشبيهه » .

وليس كل ما يرد على القريحة يجب ان يقال ، فقد يكون الشاعر في خلوة يردد كلمات يطرب لها ويرى فيها جمالا اوحت به وحشة المكان ، ولكن بعد ان يجري تلك الكلمات على محك العقل يرى ألا معنى لها ، ولامر ما قيل لبشار بن برد « بم فقت اهل عمرك وسبقت اهل عصرك في حسن معاني الشعر وتهذيب الفاظه ؟ » قال : « لاني لم اقبل كل ما تورده علي قريحتي ويناجيني به طبعي ويبحثه فكري » وكأنه عرف ان الصوت الواحد والمنظر الواحد لا يؤثر في السامعين والناظرين اثرا واحدا ، وليست الحواس وحدها تكفي في ادراك الجمال ، بل لا بد معها من العقل ، فالحواس وحدها تستطيع ان تدرك الحركات والاشكال والاصوات والالوان على انفرادها ، ولكن لا بد معها من الفكر والشعور ليربطا بعضها بالبعض الاخر ويكونا مجموعة واحدة متناسقة الاجزاء . وبهذا ايضا يختلف الانسان عن الحيوان ، فالحيوان يستطيع ان يدرك الوان صورة ذات الوان كصورة العذراء لرفائيل ويسمع الشعر ولكنه لا يدرك ما يدل عليه ذلك من عشق ولا يشعر بما يمثل من عواطف.

وهذا ما يؤيد ما ذهبت اليه من ان الشعر ليكون شعرا حيا يجب ان يكون فيه لجميع الشواعر الانسانية مشاركة ، وقد تنبه الى ذلك علماء الشعر في العصر العباسي فقال قدامة بن جعفر : « لما كان اكثر وصف الشعراء انما يقع على الاشياء المركبة من ضروب المعاني كان احسنهم من اتى بشعره بأكثر المعاني » .

ولقد أعطي الشاعر صفة لم تعط لغيره ، فهو الامير المتصرف ببيانه والغائص على المعاني الجليلة وقديما قال الخليل بن احمد : « الشعراء امراء الكلام يتصرفون فيه كيف شاؤوا ، وجائز لهم فيه ما لا يجوز لغيرهم من اطلاق المعنى وتقييده » فانت ترى ان الشاعر لم يطلق له الكلام اطلاقا دون تقييد في المعنى وان كلمة اللاوعي كلمة يفهمها البعض على غير حقيقتها ، فهذه قصائد ابن الفارض امام الرمزيين واللاوعي ، الم يعطنا المطرب الجيد من الشعر ؟ اما كان يخطف متجردا عن المادة في ما قالوا عنه ويعود اليها وملء فمه قصائد فيها كل جميل حسن سواء فيها نعت اللفظ او نعت المعنى ، واذا كان المراد من كلمة

« اللاوعي » الهذيان فيكون المحموم شاعرا وكل مجنون شاعر ، ويا لخيبة الشعر عندئذ ويا لضيعة الادب الحقيقي من ادب هذا العصر . وانه ليعجبني قول الجاحظ في كتابه البيان والتبيين : « المطبوعون على الشعر هم الذين تأتيهم المعاني سهلا ورهوا ، وتنثال عليهم الالفاظ انثيالا » ومن الادباء من يقول وحجته ان الشاعر كالمصور الذي يقدم لك خطوطا رمزية تريك الجمال ولا تدركه ، قلت : انهم على حق في ما يذهبون اليه ولكن هل الخطوط التي يرسمها المصور البارع خارجة عن حد اصول الفن المقررة؟ او تراه جردك من العقل بخطوطه وقصر فنه على ناحية نفسية واحدة ؟ الم يصرفك بما رسم قلمه الى تداعي صور رجعت بك القهقرى الى الماضي حيث يرتبط ما شاهدت قبلا بما حضرك وانت أمام لوحته .

وهذا الرمز الذي يطبل له البعض ويزمر ، اليس فيه معنى يدركه العقل ؟ اهو مجرد الوان فقط ، وقديما قال الامام الماوردي : « وربما استعمل الرمز من الكلام فيما يراد تفخيمه من المعاني ، وتعظيمه من الالفاظ ، ليكون احلى في القلوب موقعا واجل في النفوس موضعا ، فيصير بالرمز سائرا في الصحف مخلدا ، وعندي ان الشعر الجيد هو الذي يخاطب العقل والنفس معا ، ولا خير في شعر له نوطة تتناول النفس دون العقل ، والجيد الجيد هو الذي يجمع بين العقل والنفس ، وجماع ذلك ما قاله قدامة « ان يكون المعنى مواجها للغرض المقصود غير عادل عن الامر المطلوب » .

وجملة القول ان الشعر معنى ومبنى ، سواء منه الرمزي والغنائي المطلق والمقيد والمقتصر على صفة واحدة لا يتناول غيرها ، يبين فيه النقص ويخرج عن حد الكمال والمقرر ، ويكون مثله مثل تمثال عليه من الحلى والالبسة ما لا يستقيم مع الذوق والعقل ، ويبهرك الشكل وتفوتك الروح ، والمادة بلا روح باطلة والروح وحدها لا تدركها المادة ولا تفهمها على وجهها الصحيح«ويسألونك عن الروح، قل الروح من امر ربي » .

والشاعر الحق هو الذي يجسم الجماد فينطقه كما في قصيدة اسماعيل صبري في وصف الاهرام ومطلعها :

لا القوم قومي ولا الاعوان اعواني   اذا ونى يوم تحصيل العلى وان

وكما في قصيدة مطران ، في ظل تمثال لرعمسيس الكبير ومطلعها :

يا صورة شبهت صخرا بانسان   ملأت من روعة قلبي وانساني (١)

وعلى ما تقدم اقول ان الشعر الحي هو الذي يرقصك ويطربك ويملأ جوارحك وعقلك ، فتسير وراء خياله ، بتناغم الكلمات وجلال المعنى والمبنى . ويبقي في احساسك ما يرفع النفس الى عالم الرؤى والاحلام .

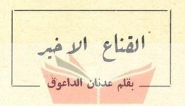
(١) اي انسان العين ، ناظرها

عيسى ميخائيل سابا

بؤس

مدت يدها متضرعة
في عينيها دموع جفت
وظلت قطرة واحدة عالقة باهدابها ..
ارتعش جسدها كله
تحت وطأة البرد اللاسعة
فجمعت ثوبها الفضفاض حول جسمها
لعله يقيها ويحفظها ...
هدر حياؤها ، واريقت كرامتها
فهي لا تخجل من التوسل والتضرع
والاستجداء ...
في النهار تقطع الانهج ،
وتدق على الابواب
متوسلة متضرعة ،
مستجدية قطعة خبز جاف
او بعض الحساء ...
وهي تترقب غفلة من اهل الدار
لتسرق ثوبا منشورا على الحبل
او وعاء ...
لكم تلقت صفعات
ولكم نالت لكمات
هدر منها الحياء ..
لم يعد ينفعها لا تهديد ولا وعيد
ولا نظرات العداء ...
تدمع عيناها ، فلا تعرف لماذا تدمعان ،
وتبتسم حين يسقط وسط كفها درهم
او درهمان ...
انه البؤس ... لقد ارتدته كما ترتدي
ثوبها المزق المهلهل ...
غطى الثوب جسمها
ولف البؤس نفسها ...
فسار تتحمل حملا
وحين ينوء بها الحمل
تبكي ، ولا تعرف لماذا تبكي ،
وتجف دموعها بعد حين قصير ...
وتبقى قطرة واحدة ،
عالقة باهدابها ...

تونس   ناجيه ثامر


القناع الاخير
بقلم عدنان الداعوق

كانت « عزة » فتاة طيبة جدا، ووفية مخلصة تؤثرني على نفسها وعلى كل شيء في حياتها .. مات ابوها وهي في الخامسة من عمرها .. ولحقت به امها بعد ايام في حادثة اصطدام .

ولما كانت والدة « عزة » قريبة والدي .. لذلك سعى لاحضارها لتعيش معنا في بيتنا بعد وفاة والديها.

ووجدت في « عزة » صديقة عزيزة.. نشأنا معا ، وكان تقارب السن وتوافق الاهواء خير جامع لنا ومؤلف بين غاياتنا .

واحببت « عزة » وجاءتني هي كذلك بحبها لي .. ولم تشعر ابدا بغربتها عن بيتنا ، بل على العكس كانت معاملة والدي لها تشعرها بانها هي صاحبة الامر بيننا .

واصبت باديء الامر بخيبة امل عندما وجدت ان والدي ينصت لحديث « عزة » اكثر من التفاته الى حديثي ، وان والدتي تستجيب لرغباتها قبل التفاتها الي .

وثرت وبكيت .. وملأت الدنيا صراخا ، غير ان والدي همس في اذني يومذاك قائلا :

ـ انك مخطئة يا « رجاء » لان « عزة » اختك ، وعليك الا تشعريها بكرهك لها .. وان تنبهينا ايضا اذا ما قصرنا نحوها يوما من الايام.. انها اختك ولا نفضل واحدة منكما على الاخرى .

وقبلني والدي في جبيني ، وطوى في يدي ورقة من فئة العشر ليرات..

وفكرت حالا ان اقتسم هذا المبلغ بيني وبين « عزة » فقد اثر في نفسي حديث والدي كثيرا ، وفعلت كلماته الحانية في نفسي فعلها .

وبحثت عن « عزة » وكانت سريعة اللقاء .. وحالما ابصرت بي ، مدت يدها الي ووجدت بين اناملها ورقة بخمس ليرات ، وهمست الي وهي تناولها لي :

ـ لقد اعطاني بابا عشر ليرات .. ورايت ان نقتسم المبلغ فيما بيننا ، ارجوك اقبلي نصفه مني يا رجاء ..!

ولم استطع ان املك ساعتها دموعي التي انفرطت من عيني بغزارة، واندفعت نحو « عزة » وضممتها الى صدري ويدي تثني الليرات في عطف ولين .

وعرفت « عزة » دخيلة نفسي ورغبتي في ان اقاسمها ما حصلت عليه من والدي .. فغمرتني هي الاخرى بقبلاتها الصادقة ، وكان الحب رائدنا الوحيد من جديد .

تلك هي اول قصة وقعت بيني وبين « عزة » وقد كانت الواقعة الاخيرة بيننا .

واستطاع والدي ووالدتي ان يطمئنا بعد ذلك على الاخلاص والتفاني الذي تكنه كل واحدة منا للاخرى ، وعلى الخير الذي نتسابق الى فعله .. وتفضيل كل منا اختها على نفسها .

وسعى والدي لان يخلق من «عزة» خلقا جديدا .. وما كان سعيه بالنسبة الي باقل من نصيب « عزة » ، بل كان رائعا جدا في تربيته لنا .. فكان لا يقصر في منح المتفوقة منا في دراستها الهدايا الثمينة والعطاءات الفاخرة.. ويردد كلمته المألوفة :

ـ المتفوقة منكما احسن عندي حتى يستوي الامر بينكما ..!

ولم تكن هذه الكلمة الا دافعا وحافزا لنا على المسير والداب المستمر .. ولم تكن ـ بعد تلك القصة ـ كلمة والدنا مجالا للغيرة او الشك.

وطريق والدي هذه جعلتنا نفكر انا و « عزة » بطريقة سليمة للغاية..



فقد قررنا ان نعمل في السر لننجح معا ، ونتال هدايانا دون تفضيل ولا ايثار .. وبذلك نصل الى ما نريد .

وكان لنا ما اردناه .. حتى ان والدي جاء عقب نجاحنا في البكالوريا فرحا وحين علم ان درجاتنا متقاربة وتكاد تتساوى في النجاح والتفوق قال ضاحكا :

ـ لقد ادركت جيدا ان الشيطان لن يستطيع ان يعيش بينكما ..لانكما ابرع منه في نسج المؤامرات وصوغ الاحابيل .. ان هديتكما من التحف النادرة .. وقد كان بالامكان ان توفرا علي الامر ايتها الخبيثتان فتنجح واحدة لتسقط الاخرى ، فاوفر على نفسي ثمن الهدية الثانية ..

وضحكنا كثيرا ، غير ان « عزة » ضمتني الى صدرها بعنف وهي تقول لوالدي :

لن يستطيع الشيطان ان يعيش بيننا يوما لاننا سنقهره بالخير .. وعليك يا والدي ان تستعد دوما للهدايا الثمينة الغالية .. لاننا سنكون مع بعض ولن تفترق واحدتنا عن الاخرى مطلقا .

وصدقت « عزة » في قصة الشيطان الذي لن يستطيع ان يجد له مكانا بيننا .

دخلنا كلية الحقوق .. وابتدانا معا في جد ونشاط حتى استطعنا ان ننهي السنوات الطويلة وكأنها ايام معدودات .

وجاءت كل منا تحمل شهادتها بيدها .. ودخلنا على والدنا في غرفته .. فنظر الينا والفرحة تملأ قلبه وترسم دموعا في عينيه، وقال:

ـ استطيع ان افخر بكما اليوم.. فقد حققتما الامل الذي راودني طويلا ! وقبلني ، وقبل « عزة » .

وانطلقنا في طريق الحياة .

كان علينا ان نمضي في الطريق معا .. حسب الخطة التي رسمناها لنفسينا ، كان نعمل في مكتب واحد او مرفق مشترك .. ولكن الظروف لم تكن مواتية .. فاضطررت لان اشتغل في مكتب محام صديق لوالدي،

واضطرت « عزة » لان تعمل فى احدى الوزارات .

ولاول مرة افترقنا .. وحرمنا من بعض ساعات النهار .. ولكننا استطعنا ان نعوضها بساعات الليل التي لم نكن نفترق فيها ابدا .

كنا كلما اجتمعنا فى المساء اخذنا نستعيد ما مر بنا خلال اليوم كله من مشاكل وحوادث واعمال واشياء خاصة كذلك .. لانه لم تكن بيننا اسرار ولا حواجز نخفيها واحدة عن الاخرى .

وجاءت «عزة» عشية احد الايام شبه حالمة .. حدثتها فلم تنصت الى حديثي ، وفضلت على الجلوس معي الانفراد والانطواء على ذاتها .. وراحت تسمع بعد ذلك مقطوعات من الموسيقى فى لهفة وشوق غامض ، وبانت لي مخلوقة جديدة لم اعرفها من قبل .

واذا بها بعد ذلك تنفلت منها الكلمة فى تحفظ كثير وتقول :

ــ انني احبه يا رجاء ..!

ولم تكن فرحتي باشد من استغرابي .. ايجوز لعزة ان تحب .؟ ايجوز للفتاة الوقورة ان تترك للحب طريقا الى قلبها ؟..

وقبل ان اسألها حقيقة الامر ، قالت لي وكأنها تحلم فى يقظة :

ــ لقد دخل قلبي فجأة .. ولم اجد نفسي الا وانا اتعلق به واحبه وكأنني اعرفه منذ زمن بعيد .. انه هو الاخر يظن انه يعرفني .. تصوري يا رجاء ، انه يعشق موسيقى «باخ» ويحب رسوم « جوجان » ويتلذذ بأدب « مورياك » .. كم جميل بالفتاة التي تقابل فتاها وتراه على حب لكل ما تحب وعلى رغبة لكل ما تهواه وتعشقه .

وتركت « عزة » تلك الليلة لاحلامها تجسد منها ما تشاء !.

وتمضي بنا الايام ..

و « عزة » مقيمة على حبها ، مخلصة وفية لحبيبها .. وتجد فى الحب اسعد ايام عمرها ، وتنتظر ان تكلل هناءها فى حبها بالزواج الذي يحيل حياتها الى سعادة ورضاء دائمين .

وتشاء الظروف ان اقع انا الاخرى فى الحب ..

كان حبي يختلف عن حب «عزة» فى شيء واحد فقط .. هو انني عاطفية جدا ، بعكس « عزة » تماما .. فهي تتخذ من المنطق قانونا لحبها ، وانا اتخذ من عاطفتي المشبوبة منارا لي استنير به واسير على هداه .

وقعت فى حب شاب ثري جاء للمكتب يوما يسأل عن موضوع تركة من ارث قديم لعائلته .. وتردد علي فى المكتب اكثر من مرة .. ووجدتني دون أن افطن ، اماطل فى قضيته ، واطلب لها التأجيل تلو التأجيل حتى استمتع بمقابلته كل يوم تقريبا .

وامتد بنا الحديث مرة بعد مرة ، حتى تعدى امور العمل ..

فافصح لي انه يحب الموسيقى ويعشق « باخ » ويهوى الرسم ويفضل « جوجان » على غيره من الرسامين ، ويعتبر « مورياك » رائد الادب بالنسبة له .

وخيل الي انني اعرفه منذ زمن بعيد .. وان ما يحبه عزيز علي ، قريب كل القرب مني .. وتمادت فى عواطفي .. حتى غدوت مريضة بوهم الحب وليس بالحب نفسه .. لان الذي ربطني به هو هذا الوهم الكبير .

كان متحفظا الى ابعد حدود التحفظ .. ولعل هذه الخصلة هي التي قربتني منه وجعلتني اتعلق به .

وفرحت «عزة» اشد الفرح حينما جئتها ذلك المساء اقول لها وانا فى قمة السعادة :

ــ انني عاشقة يا عزة ..!

وحكيت لها بتحفظ عن غرامي وعن الظروف التي عرفتني بالشاب الذي احببته من كل قلبي .. ولكنني لم افصح لها عن اسمه لانني عرفت ــ بيني وبين نفسي ــ ان الحب بيني وبينه لم ينضج بعد ولا يستحق ان اعرف « عزة » عليه ما لم تتوطد علاقتي به اكثر واكثر .

وسهرنا انا وعزة تلك الليلة طويلا .

واخيرا قالت لي « عزة » :

ــ هل ستفرحين بزواجي يا رجاء ..؟

فاجبتها بسعادة وسرور :

ــ جدا .. وكفرحك انت بزواجي .

قالت باطمئنان اكيد :

ــ سيحضر غدا لمقابلة بابا ، وليطلب يدي منه .

والتفتت الي وواجهتني قبل ان تنام :

ــ وانت متى سيحضر ويطلبك زوجة له من بابا ..؟

فاجبتها بغير اكتراث :

ــ ان موضوع الزواج سابق لاوانه يا عزة بيننا .. وليس بيننا اليوم سوى الحب ، اما الزواج فسيأتي فيما بعد ..

فقالت « عزة » باستغراب :

ــ كيف تحبان بعضكما اذن ..؟

قلت لها وانا شبه سكرى :

ــ الا تظنين ان الانسجام بين فتاة وشاب فى كل شيء وتوافق الاهواء والخواطر هما كل شيء في الحب ..؟

فقالت :

ــ بل اظن ان هناك اشياء اخرى غير ما ذكرت ..

وانتظرنا مساء اليوم التالي بفرحة بالغة للقاء خطيب « عزة » .. الرجل الذي سيأخذ منا غاليتنا ويحرمنا من وجودها بيننا .. وكنا جميعا فى لهفة للقائه

وما كدت اراه وهو يدخل منزلنا حتى صعقت وكاد يغمى علي بين الجميع .. وتعللت بشتى الاسباب والعلل لاهرب من الجو المحموم الذي وجدت نفسي فيه .

ان خطيب « عزة » لم يكن سوى « حسام » نفسه ..!

نعم « حسام » موكلي ، وحبيب اوهامي ...

حتى الرجل نفسه احببناه انا و « عزة » معا .. ولكنه سيكون لها وحدها .

لقد كلمتني عنه طويلا .. وحدثتها عنه .. ولكن واحدة منا لم تفصح عن اسمه للاخرى حتى تعلقنا به

دع

انغـــام
على الطريـق الطويل
توارت في الظل
ولم يبـق
ســوى
قصـة همـس
مـن صــداه

وتــر ينــوح
بالحكـايـا
فـلا تسـل

اذا فتح الورد اكمامه
ضــاع العبـير

فــدع السـر
مغلفـا بالعمـق
ودعــني

حلب — هيفاء طيبي

كل منا في عالمها الخاص ورغباتهـــا واهوائها .

ورضي والدي بحسام زوجا لعزة .. واشاد كثيراً باخلاقه وعائلتـه الكريمة التي ينتمي اليها . وكذلـك اشاد بذوق « عزة » وحسن اختيارها رفيق حياتهـا .

اما انا فقد اعتبرت هذا الـزواج طعنة نجلاء في صميم كبريائي .. ولاول مرة بعد ذلك الخصام البعيد بيني وبين « عزة » اقف معادية لـها .. وارى في وجهها الف صورة للشيطان بمختلف الوانه واشكاله .

الرجل الذي توهمت انني احبـه سيكون زوجها وستعيش معه في بيت واحد وعش جميل .. وبدات افكر في وسيلة للايقاع بينهما .. ودبـت الغيرة في قلبي وعميت عن كل شيء .. حتى عن الحب الاخوي الطاهـر الذي ربطني بعزة منذ الحادثة .

وعرفت ان « حسام » لم يذكر لعزة شيئا عني .. والا لفاتحتـني هي بالامر ولاستفسرت مني جلية الموقــف .

وكانت اكبر صدمة تلقيتها فـي حياتي يوم زفت « عزة » زوجة لـه .. لقد ملكت البيت وملكت الرجـل الذي تتمناه كل فتاة .

وبدات افكر . .

هل هي اجمل مني .؟ هل هـي ابنة هذا البيت العريق النسب .؟ وماذا لو تركها والدي بعد وفـــاة والديها اما كادت تكون اليوم شريدة طريدة في الازقة والشوارع .؟

وقررت أن اعمل كل مافي وسعي على تحطيم هذا الحب الذي بينهما .. قررت ان افتح عينيه المغمضتين على الحقيقة التي يجهلها .. ان «عزة» ليست اختي ، وهي فتاة غريبة عن منزلنا .. ربيناها وصرنا اهلا لها .. ومما لا شك فيه انه سيغير رايه فيها، ويتصور انها غشته واخفت عنـه امورا كثيرة .

ولكنني فوجئت حين علمت بأن « حسام » يعرف كل شيء عن «عزة» .. بل ويعرفها اكثر مما نعرفها نحن .

عندئذ فقدت كل امل في استرجاعه ... وفي حبي الذي ضاع بين الوهم والحقيقة .. غير ان خاطرا واحـدا ظل يلح علي في عنف .

سأكون انثى بكل معنى الكلمة .. وسأستعمل جميع اسلحة حــواء الفاتكة لاغراء «حسام» .. وعند ذاك سأقول كل شيء .. واذكر لها انني كنت على علاقة معه قبل زواجهـــا حتى تمقته ويسقط بنظرها .

وذهبت « عزة » يوما لزيارة صديقة لها .. ومرت علينا قبل ذهـــابها ، وعلمت منها — دون ان تـدرك — ان « حسام » ينتظرها في المنزل ليذهبا بعد عودتها من زيارتها الى السينما .

وفرح الشيطان في اعماقي ..

انها الفرصة الوحيدة التي سأظفر بها .. وصرخت جميع قوى الانتقام النائمة في نفسي .. وقررت ان اطعنها في بيتها .. وسأكشف لها ان زوجها رجل يستطيع ان يخونها اذا ما تصدت له امراة جميلة ..

ولبست احسن ما عندي من ثياب، وتعطرت وبالغت في زينتي الى أقصى حــد ..

وضحكت ساخرة .. سيتهـاوى « حسام » عند قدمي .. وسيصعق بانوثتي وجمالي وفتنتي ..وسأنتصر عليه .. على الرجل !.

وخرجت من غرفتي وانا على اتم الاستعداد .. وقبل ان اخرج مـن المنزل سمعت والدي يحدث والدتي ويقول لها بصوت اراد ان لا يصـل الى مسمعي :

— سيحضر غدا .. انـه يريد الزواج من رجاء .. وقد اعجب بها جدا عندما كنا في الاسبوع الماضـي عند صديقنا « انور » .. وقد فاتحني انور اليوم .. وكل ما ارجوه ان يعجب رجاء .. فرايها فوق ارائنا جميعا .. وكما سمعت ان مصطفى شاب مثالي ورجل ناجح في الحياة !.

كان علي أن استمر في طريقــي متوجهة الى المعركة التي احقق فيها نصري واثور لكياني وكبريائي واوهامي .. لكنني توقفت عند الباب الخارجي .. وسقط من يدي اخر قنـــاع للزيف والغيرة والبطلان ..

ووجدتني فجاة انكر كل تصرفاتي الحمقاء .. واعود باللائمة على نفسي وغبـائي .

ورحت ارقب الغـد بأمل مشرق وقلب سعيد ..!

حمص — عدنان الداعوق

انا احيا

* * *

انا احيا
ـ بليلات .. بلا سلوى .. بلا معنى .. بلا قبس
يمني ذكرها قلبي .. فكم يعدو على يأس
ويسألني : على م العيش فى بؤس وفى تعس ؟
ـ على همس الشعور العذب .. ما احلاه من همس
على انسامه ما داعبت انسامه نفسي
وباحت لي بما اشجى ، وما ابكى ، وما أعيا ..
انا احيا ..

انا احيا
ـ بفجر ما لروحي منه اضواء ... فترعاه
ولا تبدو به البشرى الى روحي .. فتلقاه
وتسألني : على م العمر بالآلام ... نحياه ؟
ـ على حب تباعد بيننا الدنيا ... واهواه
على ذكرى حبيب لم ازل أهفو للقياه
اذا ما مات او يحيا ... ومهما عزت اللقيا ...
انا احيا ..

انا احيا
ـ بكون كفنت نفسي المنى يوما بواديه
وراحت بعده تبكي على الكون ومن فيه
وتسألني : على م وقد مضى عني اناديه ؟!
ـ على امل .. فقد يأتي المنى يوما لراجيه
فيلثمه ، ويكسوه ، ويطعمه ويسقيه
انا ارجوه مهما فات .. بل ادعو لكي يحيا ..
انا احيا ..

انا احيا
أصما موصد الاذنين .. لا انغام .. لا سلوى
يراعي مثقل باللحن لكن لا يرى مأوى
ويسألني : على م الشدو والانغام والنجوى ؟
ـ على آذان تسمعنا .. فنفرد واقصد الشكوى
وهوم واشد بالافراح واطربها بما تهوى
فان مت ولم أسمع وعاشت تسمع الدنيا ..
انا احيا ..

مدني ـ السودان **عبد الرحمن الناظر عبدالله**

غوغول في قصة المعطف

بقلم جورج سالم

كتب غوغول خلال حياته القصيرة عددا من القصص والروايات والمسرحيات ، الا ان قصة المعطف تحتل المكانة الاولى بين انتاجه رغم صغرها ويسرها ، وتبرز بين آثاره وآثار الادب الروسي عميقة خالدة ، فيها الواقعية بكل عمقها ودقتها ، والروح الساخرة التي عرف بها غوغول ، والخيال العجيب ، والالم الناعم المرهف والكآبة المتشائمة والنزعة الانسانية التي تسم روائع الاثار العالمية .

يقول مؤرخو الادب عن غوغول انه كان يعاني مشقة كبرى في العثور على مواضيع لقصصه ومسرحياته ، وانه استمد معظم مواضيع آثاره من قصص سمعها او حكايات رويت له ، فاقتبسها وسكبها باسلوبه الحي المتوثب ، ثم اضاف اليها ما كان يعتلج في نفسه من انطباعات وافكار وقيم .

ويصح اطلاق هذا القول على مسرحيته « المفتش العام » وروايته « النفوس الميتة » كما يصح اطلاقه على قصة المعطف نفسها . فقد استمع غوغول ذات يوم وهو جالس بين اصدقائه الى احد رفقائه يروي حكاية عابرة عن احد صغار الموظفين . كان هذا الموظف مولعا بالصيد ولوعا شديدا ، واراد ان يبتاع بندقية ، فاقتصد ما وسعه الاقتصاد حتى استطاع الحصول عليها ، وفي اليوم الذي ذهب فيه يختبر بندقيته الثمينة سقطت من المركب الى الماء وهوت في مصب النهر . وضحك الجميع لهذه الحكاية الا غوغول الذي لبث يفكر . وهكذا فان كارثة هذا الموظف البائس كانت مضحكة بالنسبة لمجتمع سنة ١٨٣٤ ، اما بالنسبة لغوغول فلم تكن كذلك ولقد استطاع ان يبني من هذه الحكاية قصة اليمة ، لانه نظر الى ما وراء السطوح الظاهرة فراى بؤس الانسان وشقاءه وسطوة المجتمع وقسوته .

وقصة المعطف لا تختلف في خطوطها العريضة عن هذه الحكاية اليسيرة ، انها قصة « اكاكي اكاكفتش بشماتشكين » وهو موظف صغير في احدى الوزارات ، وانسان محدود الافق ، لم يكن عمله يتعدى نسخ الاوراق في الليل والنهار وفي ذات يوم شعر انه بحاجة الى معطف يقيه البرد بعد ان اهترا معطفه ، ولم يكن هناك من سبيل لاصلاحه ، فراح يقتصد ويسرف في الاقتصاد ، ويقتر على نفسه ويبالغ في التقتير حتى اتيح له بعد لاي ان يؤمن ثمن المعطف ، فاوصى عليه ، وغدا حلم حياته التي لم تعرف حلما جميلا داعبها يوما . ولما انتهت خياطته ولبسه لليوم الاول راى الموظفون ان يقيموا حفلة على شرف هذا المعطف ، فذهب اكاكي اكاكيفتش الى الحفلة مرتديا معطفه الجديد ، والفرح والزهو يملآن نفسه . وحين انتصف الليل الح عليه النعاس ولم يكن من عادته ان يسهر البتة ، فراى ان يعود الى منزله ، وفي الطريق اعترضه بعض اللصوص فضربوه ، ونزعوا عنه معطفه الجديد وتركوه طريح الارض وهربوا . وحين صحا الى نفسه كانت دروب من الالم والعذاب تنتظره ، من جري وراء اللصوص ، الى الاستنجاد بالشرطة ، الى البحث عن المعطف . حتى انتهى به الامر في الايام التي تلت هذا الحادث الى ان يتوسط لدى احد الوجهاء « ذوي النفوذ » لكن هذا لم يأبه به بل عنفه وطرده ، فعاد اكاكي الى فراشه مريضا محموما يهذي بمعطفه وباللصوص وبالوجيه حتى لفظ انفاسه .

الا ان غوغول لم يكن يقف عند موت اكاكي اكاكفتش بل مضى الى ابعد من ذلك ، فقد صور لنا اكاكي هذا شبحا رآه الناس في شوارع العاصمة يطوف في الليل على المارين ، فينتزع عنهم معاطفهم ، ولم يستطع احد ان يمسك به او يحول بينه وبين سرقة المعاطف ، وظل الامر على هذه الحال حتى كانت ليلة ، والوجيه ذو النفوذ عائد الى بيته بعربته ، واذا بالشبح يعترض طريق العربة فيوقفها ويدخلها ليأخذ معطف الوجيه الذي لم يشأ ان يساعد اكاكي في العثور على معطفه . ومنذ ذلك اليوم كف الشبح عن الظهور ومطاردة الناس لسرقة معاطفهم .

ولكي نفهم عملية الابداع التي قام بها غوغول في خلق اثره « المعطف » لا بد ان نقارن بين ما كتبه وبين الحكاية التي رويت امامه . لقد استبدل الكاتب المعطف بالبندقية ، وحاول ان يرسم جو الوزارة وحياة مختلف الموظفين ، واعطى للقصة نهاية مفجعة انتهت الى موت البطل ، اما الحكاية ، فقد انتهت الى نهاية حسنة اذ جمع الموظفون بعض التبرعات اشترى بها الموظف بندقية جديدة . الا ان العنصر الجديد حقا في القصة هو تلك النهاية الغريبة التي ظهر فيها شبح اكاكي لينتزع من الناس معاطفهم ، وذلك العالم الخيالي الذي قفز اليه غوغول ليحقق بوساطته عدالة لم يستطع الناس آن يحققوها في حياتهم الراهنة .

ولعل اول ما يلفت الانتباه في القصة هو الجانب الواقعي فيها ، فقد عمد غوغول الى رسم صورة دقيقة لجو الوزارة والموظفين وسلوكهم وتصرفاتهم ، ثم دراسة الحياة العامة في بطرسبرج ، والطبقات الاجتماعية والوجهاء والمتنفذين ، كما استطاع أن يرسم لنا بعض النماذج الانسانية رسما دقيقا حيا .

لم يذكر غوغول اسم الوزارة التي صورها لنا ، ولعله اراد بذلك ان الوزارات كلها متشابهة وأن الجو نفسه يسيطر عليها جميعا . فكبار الموظفين يتحكمون بالصغار ، وزملاء اكاكي اكاكفيتش الشباب الاغرار لا يأتلون يعابثونه ويركبونه بالمزاح المعهود في كل دواوين الوزارات . اما حياتهم فموزعة

● اعتمدنا في هذه الدراسة على الترجمة الموفقة التي قام بها الدكتور بديع حقي للقصة وطبعت في مطابع دار العلم للملايين ببيروت

بين العمل فى الدواوين او اللهو ، من ذهاب الى مسارح التمثيل أو الذهاب الى سهرة لمغازلة بعض الفتيات او السمر فى بيوت رفاقهم الصغيرة حيث يلعبون لعبة ساذجة بسيطة وهم يرتشفون اكواب الشاي ويلتهمون قطع البسكوت الرخيصة ، وينفثون دخان غلايينهم الطويلة ويهذرون ، وورق اللعب فى راحاتهم ، بحديث من احاديث مجتمعهم الوسيع ، هذه الاحاديث التي لا يقدر الروسي ان يتخلى عنها كما يقول غوغول . ولم تكن تخلو حياتهم من بعض الحفلات الساهرة الكبيرة كالحفلة التي اقامها معاون المدير للموظفين على شرف معطف اكاكي اكاكيفيتش الجديد، والتي انتهت الى تلك النهاية المحزنة .

فاذا انتقلنا الى الشخصيات التي رسمها الكاتب فى هذه القصة وجدنا صورة اكاكي اكاكيفتش تبرز امامنا بدقة وجلاء . انه موظف بسيط فى ديوان احدى الوزارات لا عمل له الا النسخ « ولم يكن اي انسان يذكر الزمن الذي دخل فيه اكاكي الوزارة او يعرف الشخص الذي اوصى به فان المديرين ورؤوساء الاقسام والدوائر قد تبدلوا ، اما اكاكي فقد كان يرى فى المكان والوظيفة نفسهما ، معنيا بنفس العمل فى النسخ ، حتى لقد قيل تعقيبا على ذلك ، انه جاء الى الدنيا بلباسه الرسمي وصلعته الجرداء . »

ويضيف غوغول الى هذا قوله « ولم يكن يحظى بالاحترام ، فما كان ينهض له احد عند مروره . وكان الحجاب لا يولون شخصه عناية وانتباها اكثر من انتباههم لذبابة حقيرة تطير . »

وكان رؤساؤه يعاملونه بجفاء بارد قاس . وكان اي موظف يقصده ، يرمي بوريقاته التافهة امامه دون ان يكلف نفسه عناء توجيه هذا القول « ارجو ان تنسخ لي هذا الكتاب ، او هاك اضبارة هامة ... »

كان اكاكي موظفا مثاليا ، يقول غوغول « أنه لمن الصعب العثور على موظف يدرك واجباته مثل اكاكي اكاكفيتش ، لا، ان هذا الكلام قليل فى انصافه ، لقد كان منصرفا الى عمله بهمة ، لا ، ان هذا الوصف لا يفي بحقه . لقد كان منصرفا اليه بشغف ووجد . »

اما ما كان يشغل حياته ووجوده فهو النسخ . ولعل عالمه كله كان منحصرا فى حدود هذا العمل « ان هذه الوظيفة الابدية المقصورة على النسخ كانت تفسح له عالما متصل الفتون ، دائم التنوع والجدة ، وكانت اللذة التي تتسق له فى ذلك العمل ، تنعكس على معارف وجهه ، فحين كان يستشرف فى النسخ بعض الاحرف الاثيرة لديه ، فقد كان يمتلىء عطفاه ، فرحا ولا ينى يبتسم ويطرف بعينيه ، ويحرك شفتيه كأنما يستعين بذلك كله على اداء عمله . وهكذا ، فقد كان يتيسر للمرء ان يقرا فى وجه اكاكي الاحرف التي تخطها ريشته . »

وحين خطر لاحد رؤسائه ذات يوم ان يكافئه على جهوده فيوكل اليه عملا اخر بدا له هذا العمل على درجة كبرى من الصعوبة فاضطر الى ان يرفضه وقال للرئيس

ـ لا .... التمس ان تعطيني اي شيء اخر للنسخ فحسب .

ومنذ ذلك اليوم لم يوكل اليه شيء سوى النسخ ،وفيما عدا ذلك فان كل شيء كان يبدو لعينيه وكأنه لم يخلق له.

اضف الى ذلك انه لم يكن يعنى بهندامه ، فقد اغبرت بذلته الرسمية الخضراء وانكفأ لونها وكان يضع ربطة عنق ضيقة فكان عنقه يبرز منها ، على صغره ، بطول عجيب ، كعنق دمية من الجص .

وكان لا بد له من ان يبقى معلقا دوما على بذلته خيط او عصافة او عود من القش . ولم يعنى اكاكي طوال حياته، بان يوجه اهتمامه مرة واحدة ، الى منظر حركة الغادين والرائحين فى الطريق ، هذا المنظر الذي يحظى بنظرات الموظفين الاغرار الطلعة . يقول غوغول « وهب ان اكاكي اكاكفيتش كان يجيل بصره فى شيء ما ، فما كان يعمد الى ذلك الا ليتخيل فى هذا الشيء سطورا مدبجة من كتابته الجميلة الانيقة الواضحة . »

وكان حين يعود الى البيت ، يتناول طعاما هزيلا متسخا، حتى آذا ما امتلأت معدته فقد كان يبادر فيخرج من درج زجاجة المداد ، ثم يأخذ بنسخ الوثائق التي جلبها معه من ديوان الوزارة . الى هذا الحد كان الرجل مغرما بالنسخ وبالواجب بل ان النسخ كان ايضا هوايته فى اوقات الفراغ. يقول غوغول حين يلفي بان عمله قد نفذ ، فانه كان يعمد ، لتزجية فراغه ، الى نسخ بعض الوثائق التي تروق له ، مؤثرا على الكتب المعروفة بطلاوة الاسلوب، كتبا موجهة الى الشخصيات النابهة التي اسند اليها منذ عهد قريب ، منصب جليل ، او التي تتنسم مركزا هاما .

ولم تكن تخلو حياة هذا الموظف البسيط من بعض المنغصات، فكثيرا ما كان الموظفون يتندرون منه ،ويتحدثون عن مؤجرة الغرفة التي يسكن فيها ، وهي امرأة عجوز ناهزت السبعين من عمرها ، ويزعمون انها كانت تضايقه وتضربه ، ثم يسألونه متى سيتزوجها ، ويقذفون رأسه بقصاصات الورق هاتفين :

ـ هذا نديف الثلج ...

الا انه لم يكن يجيب عن ذلك كله ، وكأنه لا يعبأ به ، ولم تكن المضايقات لتلجئه الى ارتكاب خطأ واحد فى نسخ كتابه .

اما حديثه ولهجته فاليكم كيف يصورها غوغول ينبغي ان نعلم ان اكاكي اكاكفيتش كان يفصح غالبا عن بغيته ، حين يتكلم ، باستعماله ادوات الظرف والاستفهام وحتى الحروف الخالية من اي معنى . وفى الاحوال الحرجة لم يكن ينهي جمله ، ويكون ذلك فى الغالب حين يشرع فى كلام من هذا النمط « فى الحقيقة ، انه مثله تماما ، اليس كذلك؟» مجتزئا بهذه الجمل ، معتقداً انه افصح عن غرضه واستوفى كلامه حظه من البيان .

وهناك شخصية اخرى لا تقل طرافة عن شخصية

الموظف اكاكي ونعني بها الخياط بتروفيتش الذي كان يعمل في غرفة قابعة في الطابق الرابع ومتصلة بدرج حقير . وكان بتروفيتش رغم عينه العوراء ووجهه المجدور ، يصلـــح بمهارة مقبولة ، ثيـاب الموظفين ، والسراويل الرسميـة . وكان من عادته اذا سكر أن يغدو جذلا ، وفي مثل هـــذه الحالة النفسية المنشرحة يصبـح متساهلا لينـا ، متيحا بعض التنزيلات ، ذائبا في الوان مـن الشكـر واللطف . وكانت زوجته، في الحقيقة ، تقدم اذاك الزبائن باكية مؤكدة بان زوجها السكران قد طالب باجرة جد وضيعة .

والى جانب هاتين الشخصيتين نجد صورة منفردة لاحد الوجهاء اصحاب النفوذ الذين كان يعج بهم المجتمع الذي عاش فيه غوغول ويرسم الكاتب هذه الشخصية بريشته الساخرة الحية فيقول « أن هذه الشخصية البارزة كانت تعنى بان تنوه عن اهميتها بمختلف المظاهر ، مثلا ، حيـن تأتي هذه الشخصية الى المكتب فان الموظفين الصغار كانوا يحتشدون لمقدمها امام الدرج ، ولم يكن من المتيسر الاتصال بها الا عن طريق التسلسل . » ويضيف قوله : أن روح التسامي والتقليد قد فشت في روسيا المقدسة حتى ان كل انسان فيها يمثل دور الرئيس ويهب لنفسه اعتبارا اكثر مما يستحق . فحين يولج الى مستشار اصيل ان يشرف على ادارة بسيطة ، فانه يبادر الى تخصيص غرفة له يسميها « مكتب المدير » وينصب على الباب حجابا ، قد ارتدوا الملابس الزاهية ، وتحلوا بالياقات الحمر . وكانت هذه الشخصية البارزة ، وجيها نابها محترما يتكلف النبل ويتصنع الحركات الواشية بالترفع والتسامي .

اما اسلوب هذا الوجيه البارز المحترم في العمل فكان غاية في البساطة اذ يستند الى القسوة ، وكان يردد «القسوة ثم القسوة دوما القسوة » وهو يحدج مخاطبيه بنظـرة لهـا دلالتها .

وكـان الموظفون العشرة الذين ينتظمون تحت امرتـه وادارته ، يتركون اعمالهم ، اما راوه مقبلا ، ويجمدون في وضع عسكري ، وقد ملأهم الخوف ، حتى يتفضل بالدخول الـى مكتبـه .

وكان يسوق كلامه الموجه الى موظف ادنى منه مرتبة ، بنبرة قاسية ، ويتسق كلامه ، عادة ، في احـدى هـذه الجمل الثلاث

« كيف تجرؤ على ذلك ؟ افتدري الى من توجه كلامك ؟ افتعلم ثمن هذا التحدي ؟ »

وبهذه المناسبة نشير الى انه كان رجلا سليم الطوية ، كثير اللهفة نحو رفاقه ، ظاهر الود لهم ، ولكن لقب (صاحب السعادة) قد اخرجه عن طوره ، فمنذ ان جاز هذا اللقب فانه ذهل عن نفسه وفقد كل اتزان .

واذا صدف ان اجتمع الى اقرانه من «اصحاب السعادة» فانه يتصرف تصرف الرجل العاقل المهذب اذ لم يكن ، من عدة اوجه ، مغفلا . اما اذا غامر بان يغشى مجتمعا يضم اشخاصا ادنى منه مرتبة ، ولو بدرجة واحدة ، فانه يضحى حينئذ شخصا زميتا مقيتا ، فيعتصم بالصمت دون ان يمنعه ذلك من الشعور بانه كان عليه ، خلال هذا الوقت ، ان يكون أكثر بشاشة .

وكانت تبرق في عينيه ، احيانا ، رغبة جامحة في المشاركة بحديث شائق ، ولكنه سرعان ما كان يكبت هذه الرغبـة متسائلا لعل ذلك يتحيف من وقاره ، ولعل ذلك يستنزله من عليائه فيلهج بكلام عادي .

اغلب الظن ان مقام غوغول في شبابه في احدى الوزارات اتاح له ان يتعرف الى هذه النماذج الانسانية وان يرسمها في قصة المعطف هذه .

والى جانب هذه الشخصيات لا بد ان نذكر المعطـف نفسه فقد لعب الدور الاول في الرواية كلها ولقد تحدث عنه البطل ما شاء ان يتحدث ، حتى غدا كيانا قائما بذاته ، حوله يدور الاشخاص ، وفيه تستقطب حوادث القصة . فنحن نشهد مولده ونتتبع في القصة مراحل تكوينه ونرى كيف جهز وتم ، ثم نشهد نهايته بين ايدي اللصوص .

لقد عاش اكاكي حياة متشابهة الايام ، تجري على وتيرة واحدة ، حتى اقنعه الخياط بضرورة صنع معطف لـه جديد بعد ان اهترأ معطفه القديم . وفي سبيل هذا المعطف الجديد راح يقتصد ويطيل التفكير في البحث عن سبـل الادخار . يقول غوغول : وفكر اكاكي اكاكفيتش ثم فكر واهتدى الى حل فقد قرر انقاص نفقاته خلال سنة واحدة علـى الاقـل .

ومنذ ذلك الوقت ، لم يعمد الى احتساء الشاي مساء ، ولم ينر مصباحه قط . وكان يقوم بعمله في النسخ ليـلا في غرفة مؤجرته ، عند اللزوم .

وحين كان يسير في الشارع ، فقد كان يمشي بتؤدة ، كأنه يسعى على رؤوس أصابع قدميه، ليحفظ شسع نعليه من الاهتراء .

وكان لا يلجأ الى غسل ثيابه الا نادرا، خشية ان تتلف من كثرة تنظيفها وكان يتضو ثيابه سريعا حين يدخل غرفته ، ليرتدي ثوبا قديما من الكتان ، تركه له الزمن وعفا عنه .

وفي الحق ، أن هذا التقنين ، تراءى له أول الامر قاسيا، بيد أنه الفه شيئا فشيئا ، حتى صار الى اليوم الـــذي استغنى فيه عن طعام العشاء .

وغدا المعطف صديقا ودودا لاكاكي ، هذا الانسان الذي لم يعرف العطف طوال حياته . يقول غوغول ، ولما كـــان موصول الاحلام بمعطفه المقبل ، فان تفكيره فيه ، كان غذاء له كافيا ، غذاء روحيا ، اضف الى ذلك ان وجوده نفسه اضحى اكثر اهمية من قبل ، حتى لقد مثل في وهمه ان شخصا اخر يواكب خطاه ، كأنه رفيق مخلص آلى علـى نفسه ان يذرع معه طريق الحياة ، ولم يكن هذا الرفيق سوى معطفه الجديد الجميل ذي البطانة المتينة المنشودة .

واضحى مزاج أكاكي اكاكفيتش اكثر حيوية وصلابة ،

كمزاج من اتضح امامه هدف معروف ، وامحى الشك والتردد وكل الامارات القلقة الغامضة من معارف وجهه ومن افعاله .

بل لقد اصبح اكاكي مهووسا بالمعطف الذي كان يعده له الخياط ، فكان يتردد على بيتروفيتش مرة فى كل شهر، على الاقل ، ليتحدث اليه عن المعطف فيستوضح منه اين سيشتري القماش ؟ واي لون اكثر ملائمة ؟ واي ثمن ينبغي ان يدفع ؟

اما اليوم الذي استلم فيه اكاكي المعطف من الخياط فكان امجد يوم فى حياته ، فارتداه وسار به وملء عطفيه غبطة غامرة ، وكان شعوره المستمر بالمعطف الجديد على كتفيه ، يسربله بجذل عميق وكان ينتزع من شفتيه بين الفينة والفينة ضحكات صغيرة .

وحين سرق منه المعطف وحم ، كانت كل رؤاه تدور حول المعطف فكان يرى تارة بيتروفيتش وهو يوصي لديه على معطف ، قد بثت فيه شراك للايقاع بلصوص يتحلقون سريره ، حتى انه لم يكف عن الاستنجاد بمؤجرته العجوز لتسحب لصا مختبئا تحت غطاء الفراش . وكان تارة اخرى، يتساءل لماذا علقت دارعته القديمة على الحائط ، ولديه معطف جديد ؟ وكان تارة يمثل فى وهمه انه واقف امام « صاحب السعادة » يتلقى زجره وتعنيفه ويغمغم « عفوا يا صاحب السعادة . »

الا ان غوغول لم يقتصر على الناحية الواقعية فى اثره هذا ، بل تعداه الى نواح اخرى وقد يكون القسم الثاني من القصة اقوى واعجب . فهذا الشبح الذي هب يطارد الناس ليلا لينتزع منهم معاطفهم ، انه شبح اكاكي اكاكفيتش نفسه الذي اراد ان يثأر لنفسه ويسترجع حقه الهضيم في الحياة . لقد كان المعطف اكثر الاشياء انسانية فى حياته ، وهو الى بساطته ويسره كان الموضوع الذي جعل لحياته نكهة خاصة واخرجها عن رتابتها ، وايقظ كل ما كان نائما فى نفس هذا الموظف من عواطف الحب والمودة والاعجاب والخوف والكراهية معا . ان غوغول فى القسم الثاني من القصة يلج عالما جديدا ويخطو بقصته الخطوة الاخيرة نحو الجدة والطرافة والخيال المبدع العجيب . ان هذا الشبح ليذكرنا بشبح الملك فى رواية هملت . لقد مات الملك مقتولا كما مات اكاكي غما وكآبة ، فظهر شبح الملك فى القصر يسأل عن ابنه ليكلفه بالثأر له من اخيه الذي اغتاله . وظهر شبح اكاكي اكاكفيتش فى شوارع بطرسبرج يثأر لنفسه من الناس جميعا ، من كل انسان له معطف ، دون ايثار طبقة على اخرى من الناس ، سواء اكانت المعاطف بقبعات من فرو الهر او السمور او من المخمل ام كانت من فرو القندر او الثعلب او الدب وباختصار من كل الفراء والجلود التي يمكن ان يفيد منها الانسان فى ستر جلده نفسه .

وفى القصة بعد ذلك كله جانب ماساتي ، يتجلى فى ظلم المجتمع للانسان ، وفى عجز الانسان عن التغلب على الظلم والشر ، فينتهي به الامر الى الاذعان والموت الما وحسرة . ان من يقرأ القصة يشعر باشفاق على البطل وبرغبة فى دفع الشر عنه ، ولكنه يشعر فى الوقت نفسه انه هو والبطل عاجزان عن الوقوف امام تيار الشر وان هناك قوة عاتية فى الوجود يبدو الانسان ضعيفا هزيلا امامها ، كما ان المأساة فى القصة تنبع ايضا من شعورنا بالعبث ، عبث الحياة الانسانية وتصرفات الانسان ، فعذاب هذا الموظف البسيط وتقتيره وادخاره وسعيه الحثيث وراء غاية يسيرة كل اليسر انما كان عملا لا مبرر له ، لانه ذهب ادراج الرياح . لقد كان للخياط بيتروفيتش مسعط مدور تزينه صورة جنرال مجهول محت وجهه حكة الاصبع فالصقت مكان الوجه قطعة مربعة من الورق ، هذا هو عبث وجود اكاكي اكاكفيتش فلسنا نعرف وجه اي انسان كان محفورا على العلبة وان ماهية الانسان تنبثق من فوضى الحياة هذه وتولف عالم غوغول

اما اذا ارتفعنا الى الصعيد الانساني ، فانا نجد ان هذه القصة كلها ترمز الى صيحة الانسان امام الظلم ، فمن صوت اكاكي المتالم نسمع صوت البائسين جميعا فى كل زمان ومكان ، يصرخون بلسانه حيث يقول لاحد الموظفين الذي بالغ فى الهزء به والتندر عليه

— اتركني . . . علام تعذبني ؟

وكانت تتردد فى هذه الكلمات المتألمة الحسيرة كلمات اخر . كان يقول

— أجل انا اخوك

هذه الدعوة العميقة الى ابراز فكرة التآخي بين البشر اعمق ما يميز هذه القصة الرائعة . ان الادب بهذه النزعة وحدها يسمو على اللون المحلي المحدود والمشاكل الضيقة ليخاطب كل ضمير انساني فى الكون ، ويرتفع بالانسان الى افق انساني ارحب يكون فيه الانسان اخا للانسان ونصيرا له ، لا عدوا له ومصدر شقاء .

واخيرا ، فان اهتمام الكاتب بتصوير انسان بسيط ورسم حياته ومشاغله اعتبر وقتها خطوة جديدة فى الادب فقد كان من داب الادباء ان يتحدثوا عن عالم الملوك والالهة ، اما مع قصة المعطف فانا نشهد مولد أدب جديد ، يعنى فيه الاديب بالانسان العادي ، وبالشعب ويعمل جاهدا لدرء الظلم عن الانسان المستضعف .

قال دوستويفسكي « لقد خرجنا جميعا من معطف غوغول . » والحق ان قصة المعطف فتحت بابا جديدا في الادب الحديث ، فاتيح للناس ان يقرأوا ادبا متأثرا بهذه النزعة ، ادبا يعنى بالانسان ويحترم انسانيته ويقدسها . وتتالت الاثار فى القرن التاسع عشر والعشرين تحمل هذا الطابع الاصيل وهذه الرسالة الانسانية العميقة .

حلب — **جورج سالم**

قصـــة حـــب

حكاية الحب على طولها   لا يعتريها يا رفاقي الملال
وقصة الليلة يا اخوتي   جميلة اسمى معاني الجمال
فلتسمعوها مرة واذكروا   هذا الذي يوما حكاها وقال
ولتجعلوها رفقتي متعة   يزجى بها هم الليالي الطوال

يروون فيما الناس يروونه   من واقع العيش وصنع الخيال
حكاية عن بلبل صادح   مهذب الطبع رقيق الخلال
قد كان يحيا فى حمى دولة   تسبح فى السحر ورفق الظلال
وكان ذا الصداح فى غفلة   لا يعرف الحب ونار الدلال
ولا الذي يصلى به عاشق   من حيرة الفكر وسهد الليال
يحيا خلي البال انغامه   تعطر الروض بسحر حلال

ومرة طاف غلام به   مبعثر الخطو اسير الهزال
يحمل فى يده نايه   وملء عينيه تراءى سؤال
وارسل اللحن رفيق الصدى   رنينه العذب يهز الجبال
فمس قلبا خاليا مثلما   تمس قلب النبت ريح الشمال
وراح لا يدرك ما احدثت   انغامه او قدرت من مآل
مخلفا فى اثره بلبلا   تفتحت أكمامه في اكتمال
تيقظت اعماقه فجأة   تطلعا للحب ، اشهى زلال

واقبل الصادح من فوره   يعبر ابواب المنى والمحال
يبحث عنها ، عن سنى عمره   فاتنة القلب وحلم الخيال
حتى التقى بالحب فى زهرة   تهتز من حسن لها في اختيال
فاشرقت اعماقه فرحة   وبعد طول السعي حط الرحال
غناؤه اضحى لحون الهوى   وشدوه الاشواق فى كل حال
من فجره حتى قدوم الدجى   يشدو هنيئا بالاغاني الطوال
لها الغناء العذب يا حظها   من زهرة اضحت مثار الخيال
وتلمح الاشواق حوليهما   نبعا تهادى بالاماني وسال

لكنما الحساد يا ويلهم   قد هددوا آماله بالزوال
فبعثروا الاشواك فى دربه   واشهروا احقادهم كالنصال
والبلبل الصداح فى غفلة   من نشوة الحب وخمر الوصال
وفجأة يصحو على طرقة   كف الردى قد هيئت للنزال
فقام يحمي الحب فى لهفة   يحميه من قسوة هذا المآل
حتى انثنى والنصر فى اثره   واللحن يزهو بالمنى والمنال
والزهرة العذراء نشوانة   ترنو اليه فى رضى وانفعال

القاهرة   **عبدالمنعم عواد يوسف**



كتاب « الانتصار »

لابن السيد البطليوسي الاندلسي ـ حققه وشرحه وكتب مقدمته الدكتور حامد عبد المجيد ـ (لم يذكر الدكتور المحاسني عدد صفحات الكتاب واسم الناشر واسم المطبعة واين طبع)

●

نشر المخطوطات علم بحث وليس فنا ، لانه ينهض على قواء دقى الاستقراء والبحث وفى الخبرة ورسوخ المعرفة . وهو عمل يشبه الوصول الى الكنوز الدفينة من الآثار العريقة .

وكما يغيب الثرى تمثالا للبدائع حتى يكشف عنه باحث فيبهر به الانظار ، كذلك شأن واقع على مخطوط ثمين حين يضيف به إلى المعارف الانسانية الحديثة كتابا جديدا كان فى قدمه حضارة فكر عظيم .

لقد اخذت هذه الصور تدور فى فكري وانا اقلب كتاب (الانتصار ، ممن عدل عن الاستبصار) لعبد الله بن السيد البطليوسي ، الذي جلاه صديقي الاديب الكبير الدكتور حامد عبد المجيد ، فكان عندي مثل من حفر عن بئر ليروي بها الظمأ ، واني لظامىء الى ادب ابي العلاء المعري يزيد صداي النظر فى شعره واخباره ، فأحس اني حين ارد موارده اجد شرابه ظامئا مثلي .

هما شاعران ملكا علي القياد ، ابو الطيب وابو العلاء . وحين وردت كتاب «الانتصار» وجدت عنده روعة الفكر العلائي وراحة النفس المحبة لابي العلاء .

عرفت الدكتور الجامعي حامد عبد المجيد من سنين ، يوم كان يفذ الايام والليالي مع صحبه الثقاة الذين شيدوا بنشر المخطوطات المجدية جانبا كبيرا من حضارة العرب وتراث الاسلام فى القرن العشرين . كنت القاه حفيا بحكيم المعرة يحقق فى شروح سقط الزند ويجمع اخباره من كل مصدر عاكفا على كتبه ومظان البحث عنه عكوف العابد على محرابه ، فكنت اقول :

ان للعلم رجالا وهبوه نفوسهم فى غير دعوى ولا رجوة ثواب ! ثم ضربت سنوات بيني وبين لقائه ، حتى رأيت كتاب «الانتصار» الذي يعد نشره بديعة من بدائع اعماله فى الادب .

انه يقص فى مقدمة الكتاب قصة وجوده . لقد عثر عليه فى مخطوطاته الست ولم يقف على اسمه ، اذ كانت نسخ المخطوط ، وقد تواقع بعضها على بعض ، لا تحمل فى طرتها اسمه الصريح . كان مثله كمثل من اخرج من اطباق الثرى تمثالا ذهبيارائعا لانسانغابر،عرف اسم ناحتهوالعصر الذي وجد فيه ولكنه لم يقف على اسم التمثال نفسه ولبث فرحا بوجود الكتاب ومؤلفه ، محزونا اذ لم يجد اسمه . واسم الكتاب هو الذي يدل عليه كالانسان . ومن لا اسم له انسان ضائع مهما يكن وسيما او قويا . لكن البحث والتنقير الذي عرف هذا المؤلف الاديب به قد فتح له المغاليق فقد وجد بدار الكتب الكبرى فى القاهرة مخطوط (القول المانوس فى شرح مغلق القاموس) فاذا صاحبه بدر الدين بن حسن يقول فيه عند كلامه على ابي العلاء المعري وامتناعه عن اكل اللحم . « ان ابن السيد البطليوسي فى كتابه المسمى الانتصار ممن عدل عن الاستبصار اجاب فيه عن اعتراضات ابن العربي عليه فى شعر المعري » . ولست ادري ان كان صديقي الاديب قد هتف ساعتئذ هتاف الفيلسوف اليوناني ارخميدس بكلمته المشهورة : «اوريكا» اي (وجدتها) . وكان ذلك للاستاذ المحقق نصرا باهتدائه الى « الانتصار » .

يقوم موضوع الكتاب على دفاع ابن السيد البطليوسي عن ابي العلاء المعري فى كل المآخذ التي اخذها محمد بن عبد الله بن العربي على شاعر المعرة . وقد بين هذا المحقق المكين حال البطليوسي فى عصره ومبلغ ما نال من العلم فقسم حياته الى ثلاثة مراحل : فى طلب العلم ثم فى خدمة السلطان ثم فى التاليف وحمل رسالة التعليم ، وكم كانت الذكرى التي اثارها المحقق اليمة حين صور عهد الملوك الاندلسيين الذين انقسموا طوائف وشيعا يعدو بعضهم على بعض او يستعين بالاسبان ليثبت ملكه الذي زال بعدئذ بأيديهم ، فهاج احزني على حضارتنا العربية الزائلة وراء البحار . لكنه كان يرد الى حلاوات من تلك الذكرى فيما وضح من معالم المعرفة وشبوب العلم وحفاوة ملوك الطوائف بالادب والشعراء والسخاء عليهم فى العطايا اذ كان اولئك الملوك يتبارون فى تقريب رجال الادب والفكر واكتساب المحامد بهم والخلود .

وفى قوله الحق ، انني وجدت مقدمة الدكتور حامد تشبه ممرا موفقا مصفوفا على جانبيه اصص الريحان حتى تصل وراءه الى البستان الجميل . وقد رحت احمد للاندلسيين حفاوتهم بشاعري المشرق المتنبي والمعري . وكيف كان علماؤهم وادباؤهم يشدون الرحال الى الشرق حتى يجيئوا ابا العلاء وهو رهن محبسه فى معرة النعمان فيأخذون عنه اخبار الادب وينسخون شعره ونثره ثم ينقلبون الى الاندلس ومعهم آثاره . فكانت تلك الآثار تشيع بينهم وتثير فيهم حب تقليدها ، فيصوغون لها الاشباه والنظائر . وقد ذكر المحقق طائفة من هؤلاء الذين الفوا كتبا على غرار كتب أبي العلاء .

وقد اثبت المحقق الفاضل للمؤلف البطليوسي عشرين كتابا من وضعه وقد ذهب سواها ضائعا اذ كان المؤلف قد نكبه السلطان وانتهب الناس كتبه ، فكان يقول سنة سبعين واربعمئة للهجرة : « ذهب (عنى ذلك الكتاب) فى نكبة للسلطان جرت على وانتهب معظم ما كان لدي . » فتوقفني هذه العبارة أسيفا على حظوظ اولئك الاعلام الذين جار عليهم الزمان وكتب لهم ان يعيشوا فى ظلال غير وارفة .

وقد كان هذا المؤلف من اعلم اهل عصره بالنحو وكان الى ذلك أديبا وناقدا منافحا عن الفكرة التي يعتقد صوابها فى المعاني المعرية وفى تحليل قصائد أبي العلاء فى «سقط الزند» وفى «اللزوميات» وكانت طريقة نقده ممزوجة بالهوادة وصفاء الضمير .

انني مورد لقرائي ، فى الاديب الاغر ، نموذجا من موضوع الكتاب عند رد البطليوسي على ابن عربي فى تفهم بيت للمعري من سقط الزند :

افوق البدر يوضع لي مهاد ام الجوزاء تحت يدي وساد

واما اعتراضك الثاني ، فانا قلنا فى الشرح : انما خص البدر وقد كانت الشمس أنوه فى الذكر ، واعظم فى الفخر ، لما اراده من التصاعد من اول مرتبة فى الفخر الى آخر مرتبة فيه . فذكر البدر الذي هو اقرب الكواكب الينا ، ثم تصاعد الى الجوزاء التي هي فى الفلك الثامن ، وهي ارفع مراتب الكواكب ، فكانه قد اخذ بطرفي الفخر ، وتكلمنا عن تخصيصه الجوزاء دون سائر الكواكب الثابتة ، بكلام يطول ذكره . فعارضتنا بان كتبت فى الطرة « لا انما ذكر البدر لاجل ذكره الجوزاء والليل يجمعهما ، ولو ذكر الشمس مع الجوزاء لافترقاله وافترق المعنى» .

وهذا الذي قلته ـ ابقاك الله ـ معنى آخر ، ممكن ان يقال . غير ان الذي اومأنا نحن اليه ، ونبهنا عليه ، احسن معنى ، والطف مغزى .

والشعراء يستعملون التصاعد من الادنى الى الاعلى ، مبالغة فى المعاني، فتقول : هو كوكب ، بل هو بدر ، بل هو شمس . فيكون ابلغ من قولهم: هو شمس ، دون ان يذكر البدر والكواكب .

وبعد فتلك كلمة اردت بها تحية احيي بها صديقي القديم الدكتور حامد عبد المجيد الذي صنع كثيرا من الخير للغة العرب وادبها وتراثها ، وهو سادر فى حياة اديب ذي تواضع جميل .

القاهرة — زكي المحاسني

•

البحتري

تأليف نديم مرعشلي ــ سلسلة اعلام الفكر العربي ــ ١٦٠ صفحة ــ منشورات دار الشرق الجديد (؟) ــ(اسم المطبعة واين طبع ؟)

هذا كتاب ممتع فيه من النفع ما فيه من التسلية من مقدار ، وفيه من جمال الاسلوب ما فيه من توفيق فى اطلاق الاحكام ، وفيه من حلاوة البحث ما فيه من اناقة الطبع .

والموضوع فى الحق ليس جديدا ، فقد سبق للبحتري ان درسه مؤرخو الادب القدامى ، ودرسه النقاد المحدثون ، واشبعوه بحثا وتقليبا ، ولكن الاستاذ نديم مرعشلي يتناول البحتري تناولا جديدا جريئا ، فيكشف ما له وما عليه ، ويبين خصائص شعره الفنية مثيل ما يوضح تكلفه وابتعاد صوره الشعرية عن مطابقة واقع الحال ، ويظهر لنا نفسية البحتري المتقلبة من مدح خليفة الى ذمه ، ومن ذمه الى مدحه . ولكنه ــ وهو يظهر لنا هذا التقلب ــ لا ينسى فى حديثه ان يؤكد على خصائص شعره الفنية ، فيتتبع هذه الخصائص بدقة ، وان كان فى هذا التتبع بعض العجلة .

يبدأ الكتاب بفصل عن «عصر البحتري» يمتزج فيه الادب بالتاريخ ، فيتحدث لنا المؤلف عن هذه الظروف التي عاش بها البحتري ، وعن تاثيرها فى نفسية البحتري وفى شعره . ثم ينتقل فى هدوء المطمئن الى الكلام عن حياة البحتري ، فيتتبع هذا الرجل الشاعر منذ ان كان صبيا يافعا ، وينتقل معه حيث ينتقل ، حتى يصل معه الى قصر المتوكل ، ثم يسير معه بسرعة ــ فيها من الامتناع ما فيها ــ الى هروب البحتري الى دمشق ثم عودته الى بغداد فعودته الى مسقط رأسه ، ووفاته هناك .

وهو فى هذا الحديث المتنقل يزاوج بين التأريخ للايام التي مر بها البحتري ، وبين الاسلوب الادبي الذي جعل من الكتاب قطعة انشائية بديعة التركيب وبديعة الظلال .

ثم ينتقل المؤلف بعد هذا كله ، الى الحديث عن فنون البحتري الشعرية ، ويتخذ من هذه الفنون : المديح والرثاء والفخر والغزل والوصف، سبيلا يتوغل فيها مع الشاعر الى ابعد مدى سار به فى فن الشعر ، وينثر اشعاره نثرا يكاد يقترب من الشعر الساحر العذب . وهو ــ اعني المؤلف ــ يتنقل مع افكار البحتري ويغوص فى اعماقها فيفصل بين الصادق منها والكاذب ، ويأتي الى ذلك الشعر الصادق فيوضح مبرراته وخصائصه ، ويعود بعد ذلك الى الحديث عن الشعر الكاذب فينثره ويوضح الاسباب التي جعلت البحتري يسير فى مثل هذا الدرب .

ولقد الحق المؤلف ببحثه بضعة مختارات شعرية من ديوان البحتري ، واوضح بعض كلماتها الصعبة على طالب الادب ، فكان ذلك عملا ملائما .

وبعد ، فلقد قرأت الكتاب واستمتعت بحلاوة اسلوب مؤلفه ، وانتفعت بمضمونه ، ووجدته ــ فى الحق ــ كتابا يقرأ . فتهنئة ازجيها الى المؤلف

الحلة ــ العراق — علي الحسيني

وحي الشاطيء

تاليف مصطفى درويش الدباغ ــ ١١٠ صفحة ــ مطبعة النصر التجارية بنابلس

تفضل الاديب الصديق مصطفى درويش الدباغ عضو محكمة بداية القدس فاهداني نسخة من مؤلفه « وحي الشاطيء » وهو وحي لو تعلمون عظيم نسجته بنانة الشباب بمغزل الفتوة على رخاوة نسائم الشاطيء فى عروس فلسطين ، يوم كان مصطفى الدباغ ينعم هناك : شابا لاهيا يتطاير مع البهجة حيث تشاء له ، ولنفر من اترابه ، قلوبهم الشابة وامزجتهم الشاعرة . حتى اذا طمت الطامة فى فلسطين ، وسلخت النكبة يافا وشاطئها من عمر الدباغ اوى الى ظلال الاردن ليظل يرقب يافاه عن كثب، ويتهجد فى هيكل من ذكريات شبابه التي لا تكاد لا تنتهي حتى يسترجع بدايتها ، وصورة الشاطيء لا تنفك تحتل المكانة الاثيرة من مخيلته ووجدانه:

« لقد كنت اجلس مع لداتي فى مقهى انيق يشرف على البحر ، اسرح الطرف فى عرضه ، وامواجه الزرقاء المتنقلة ، تتشاجر متشاحنة ثم تتكسر على الصخور فى دعة ولين .. وطورا تتدفق مزمجرة تلوك الصخور فى اشداقها ، ثم تنسرح الى الشاطيء تغسل اخمصي المدينة .. »

ويمضي بنا الدباغ ، مع فصول كتابه ، فاذا نحن وكاننا فى صالة ، كبيرة للسينما ، تعرض علينا اشرطة من صور الماضي الزاهية ، وذكرياته العذبة .. صورة تكاد تكون كلها البحر ، بامواجه ورماله وزوارقه وصياديه ، ويكاد يكون اطارها الشاطيء برماله الواجدة والاشرعة الهاجدة، حتى لكأن القاريء يشعر ان الدباغ يكاد يرفض بقوة ان يعيش وحيا آخر غير « وحي الشاطيء » ! وهو يعترف مقدما ، فى بداية كتابه ، ان فصوله كتبت منذ اثني عشر عاما او يزيد ، وقد نشرت فى عدة صحف ومجلات كانت تصدر فى يافا آنذاك .

اذن ، لم يخرج الكتاب الى القراء على انه عمل ادبي كبير ، يستطيع الناقد ان يدرجه فى منهج خاص . لقد كان اخراج الكتاب بدافع من التوق والحنين الى ظلال وحي الشاطيء ، والوفاء لذكريات خاصة متمكنة من عواطف المؤلف .

ان « وحي الشاطيء » فيلم سينمائي صامت ، يقتاد القاريء من يده ليسير به فى جنازة ذكريات حلوة مولية .. ولعل روعته وقوته تتجلى فى مدى هيمنة هذه الذكريت على النفس القارئة .

ولقد آثرت ان تكون عجالتي هذه ، عن الكتاب ، كلمة قاريء لا ميزان ناقد. اذ ان موازين النقد لا تقام لكتاب هو للتعزي والتسرية والاسترواح، قبل ان يكون لوجه الفن . فهو لا يحمل هوية ادبية معينة ، ولا يتميز بطابع منهجي خاص . فلا هو بالقصة ولا هو بالمقالة ، ولكنه ذكريات محضة يخالطها بعض الدراسات الادبية والسوانح العابرة ، واللقطات النفسية المرهفة السريعة . و قل خليط من هذه وتلك ، خليط لكنه ليس بالهجين ، اوجدته عوامل التأزم والقلق التي تعشش فى كل نفس فلسطينية منهوكة . حتى لقد بات نتاج معظم ادباء فلسطين اليوم ، يتسم بهذا الطابع: طابع التهالك النفسي والاسترسال والتراخي وراء الذكريات.

اما ما كتبه الاستاذ المؤلف عن الشاعر الفلسطيني الكبير ابراهيم الدباغ ، فانا لا اقره فى شيء منه . لان شاعرا فحلا كابراهيم الدباغ ، وقف على صعيد واحد مع شوقي وحافظ ومطران ، وعايش الكواكبي والمويلحي واحمد تيمور والامام محمد عبده والمرصفي والسكندري وولي الدين يكن ، خليق به كتب جامع ودراسة جذرية عميقة ، توفيه بعض حقه المهدور الذي ضاع بضياع آثاره مع النكبة . ونحن نطمع ان تطلع علينا هذه الدراسة المنشودة عن شاعرنا الكبير ، بقلم قريبه الاستاذ مصطفى درويش الدباغ ، مؤلف « وحي الشاطيء » .

القدس — راضي صدوق



● ليلة فى الظلام ـ قصة ـ تاليف محمد زارع عقيل ـ ٣٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار المنهل بمكة ـ مطابع دار الكتاب العربي بمصر.

● كآبة ـ مجموعة شعرية ـ اسماعيل عامود ـ الخطوط والغلاف بريشة محمد مصطفى قنوع ـ اللوحات الداخلية بريشة الدكتور فتيبة الشهابي ـ ١٢٤ صفحة ـ مطابع ابن زيدون بدمشق .

● السلطات والفرد ـ تاليف برتراند راسل ـ ترجمة شاهر الحمود ـ ١٥٢ صفحة ـ منشورات دار الطليعة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● الناي والريح ـ شعر ـ خليل حاوي ـ ١٦٨ ـ صفحة ـ منها ٥٨ صفحة اقوال النقاد فى شعر خليل حاوي ـ منشورات دار الطليعة ببيروت ـ مطابع دار الريحاني ببيروت .

● الثوري العربي المعاصر ـ تطور الفكر القومي منذ بدء النهضة حتى نهاية الحرب الكبرى ـ تاليف ناجي علوش ـ ٢٥٦ صفحة ـ منشورات دار الطليعة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● حياة الروح فى ضوء العلم ـ تاليف ادموند و. سينوت ـ ترجمة وتقديم اسماعيل مظهر ـ مصمم الغلاف محمد محمد المغربي ـ ٢٢٠ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك ـ منشورات مكتبة الانجلو المصرية (؟) ـ مطابع دار القلم بالقاهرة .

● التنقيب عن الماضي :او الكشف عن الحضارات القديمة ـ تاليف استيله فريدمان ـ ترجمة احمد محمد عيسى ـ تقديم سامي الكيالي ـ مصمم الغلاف محي الدين ابو ذكري ـ ٢٠٠ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر (؟)

● نحو مدارس افضل ـ تاليف كيمبول وايلز ـ ترجمة فاطمة محجوب ـ مراجعة وتقديم احمد زكي محمد ـ مصمم الغلاف محمد محمد المغربي ـ ٥٠٦ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك ـ منشورات مكتبة الانجلو المصرية (؟) ـ مطبعة مصر (؟)

● تيسير القراءة ـ تاليف بول ويتي ـ ترجمة سامي ناشد ـ اشراف وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصي ـ ١١٦ صفحة ـ الكتاب ٣٧ فى سلسلة دراسات سيكولوجية : كيف نفهم الاطفال ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ مطبعة مصر (؟)

● القاب المسحور ـ مجموعة شعرية ـ نجم الدين الصالح ـ تقديم الدكتور بديع حقي ـ ١٦٨ صفحة ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● بذور للزارعين ـ لامين الريحاني ـ جمعها البرت الريحاني ـ ٩٦ صفحة ـ منشورات دار الريحاني للطباعة والنشر ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● القدرات العقلية عند الاطفال ـ تاليف ثلما جوين ثيرستون وكاترين مان بيرن ـ ترجمة عبد الفتاح المنياوي ـ اشراف وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصي ـ ١٢٨ صفحة ـ الكتاب ٤٣ فى سلسلة دراسات سيكولوجية : كيف نفهم الاطفال ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ مطبعة مصر بالقاهرة

● النفس المنبثقة فى المدرسة والبيت ـ تاليف ل. توماس هوبكنز ـ ترجمة الدكتور محمد علي العريان ـ تصدير حسن جلال العروسي ـ مصمم الغلاف محمد محمد المغربي ـ ٥٥٦ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة

● اكتساب الخبرات المهنية ـ تاليف توماس ا. كريستنسن ـ ترجمة الدكتور محمد لبيب النجيحي ـ اشراف وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصي ـ ١١٢ صفحة ـ الكتاب ٤٤ فى سلسلة دراسات سيكولوجية : كيف نفهم الاطفال ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ مطبعة مصر بالقاهرة

● ظاهرة الهروب فى « اغاريد الصحراء » للشاعر طاهر زمخشري ـ بقلم عبد الرحمن الطيب الانصاري ـ ٤٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار المنهل بمكة ـ مطابع دار الكتاب العربي بمصر

● سوار الياسمين ـ مجموعة شعرية ـ فؤاد الخشن من اسرة الجبل الملهم ـ ١٣٦ صفحة ـ منشورات اسرة الجبل الملهم ببيروت ـ مطابع دار العلم للملايين ببيروت

● خواطر شعرية ـ مجموعة شعرية ـ برنردس القزي ـ ٣٢ صفحة ـ طبعت فى سان باولو بالبرازيل

● قصائد فى الاربعين ـ مجموعة شعرية ـ يوسف الخال ـ ٩٢ صفحة ـ منشورات دار مجلة شعر ببيروت ـ مطابع دار مجلة شعر ببيروت

● Le Vizirat Abbaside de 749 à 936 (132 à 324 de l'Hégire) — Tome 2 — par Dominique Sourdel — 416 pages — gd. f. — Editions Institut Français de Damas — Imprimerie Catholique à Beyrouth.

● Kazak Exodus — by Godfrey Lias — Simplified English Editions — adapted by Elinor Chamberlain — 128 pages — Ladder Edition published by Popular Library, New York — Printed in U.S.A.

● The River Flows East — by Nan Kung Po — Simplified English Edition — adapted by Adolph Myers — 128 pages — Ladder Edition published by Popular Library, New York — Printed in U.S.A.

● Mame In America — by John Kouwenhoven — Simplified English Edition — adapted by Robert A. Lado — 112 pages — Ladder Edition published by Ballantine Books, New York — Printed in U.S.A.

● Climb A Lofty Ladder — by Walter and Marion Havighurst — Simplified English Edition — adapted by Elinor Chamberlain — 128 pages — Ladder Edition published by Pyramid Books, New York — Printed in U.S.A.



الرومانسية الجديدة لغة الرمز فى ((حديقة النبي))

بقلم الدكتور لويس عوض

●

عندما قرأت ترجمة الاستاذ الدكتور ثروت عكاشه لكتاب جبران ((حديقة النبي)) ، احسست بأن ظهور هذه الترجمة بعد ظهور ((النبي)) لجبران، انما هو تتمة لمجهود قديم قوامه احياء مدرسة فى ادبنا العربي الحديث كانت فى اوجها ايام ان كنا صغارا ، ثم ما لبثت ان انقرضت .. وهذه هي المدرسة الرومانسية ، او مدرسة الابتداع والخيال والانطلاق ..

والذين وضعوا اساس المدرسة الرومانسية فى ادبنا العربي الحديث ، فى فترة ما بين الحربين ، كانوا اولا وقبل كل شيء ادباء المهجر مثل ايليا ابو ماضي ، ثم ورثتهم جماعة ابولو فى بلادنا وكان يتزعمها الشاعران ابو شادي وابراهيم ناجي ثم عصفت بهذه المدرسة العواصف من كل جانب ، عواصف الادب التقليدي الاتباعي من ناحية وعواصف الادب الواقعي الجديد من ناحية اخرى ، فاندثرت هذه المدرسة الرومانسية فى اعقاب الحرب العالمية الثانية ..

ولولا ان هذه المدرسة الرومانسية الجديدة كانت مدرسة هشة ليست لها جذور عميقة فى ادبنا العربي لما اندثرت دون مقاومة شديدة .

ولست اقصد بهذا ان الرومانسية غريبة عن الادب العربي ، فقد عرف الادب العربي شعر الوجدان الجامح والعاطفة المسرفة والانطلاق الشديد والثورة على عمود الشعر التقليدي فى عدة فترات من تاريخه الطويل . عرف كل ذلك فى ادب العذريين ولكن عمود الادب العربي الراسخ المؤصل هو عمود كلاسي يقوم على فكرة التوازن بين الشكل والمضمون وبين العقل والعاطفة وبين المنطق والخيال وبين الحرية والقيود . فالرومانسية اذن كانت معروفة فى الادب العربي ، وان لم تكن بالطبع معروفة بهذا الاسم الذي اصطلح عليه نقاد الغرب ليصفوا به هذا النوع من الادب ..

والذين وضعوا اساس الرومانسية الجديدة فى ادبنا العربي الحديث كانوا جماعة المهجر وجماعة ابولو . فان اردت ان تجد صفة جامعة تجمعهم فلا بأس من ان تقول انهم كانوا جماعة ((المستغربين)) . والمستغربون جماعة تأثرت بالغرب وآدابه وسعت الى تطعيم الادب العربي بما اخذته عن الغرب من تراث .

ومن هؤلاء من بلغ بهم الاستغراب مبلغا جعلهم يؤثرون ان ينشئوا بلغات الغرب المختلفة ، واخصها الانكليزية والفرنسية ، وقد كان امام هؤلاء جميعا جبران خليل جبران ..

ولكن عامة المستغربين طبعا اختاروا ان ينشئوا فى لغتهم العربية ادبا عربيا . يجددون به الادب العربي ويجددون عموده مبنى ومعنى بتحرير الخيال والوجدان ، فلم يستلهموا فى سبيل ذلك الرومانسية العربية الاصيلة وحدها بل تجاوزوها واستلهموا آثار الرومانسيين من ادباء الغرب . واشتط بعضهم فى ذلك وغلا فادخل على اللغة العربية مناهج فى التخيل والشعور والتصوير والتعبير لم تألفها اللغة العربية لانها خارجة عن تراثها . ولهذا كله فنحن نسمي هؤلاء الرومانسيين الجدد بجماعة المستغربين .

وجميل ان نبحث عن انساب لاسلوب جبران واشياعه فى الشعور والتفكير والتعبير . اما انسابهم القريبة فهي بغير شك ادب بليك وشلي وهويتمان ونيتشه ونظرائهم من اقطاب الرومانسية الانكليزية والاميركية والفرنسية والالمانية .

وما من شك ان الرومانسية الغربية نفسها استوحت الشرق فى كثير مما انشأت شكلا ومضمونا ، وتأثرت تأثرا عميقا بلغة الرمز هذه التي تميزت بها بعض الآداب الشرقية ، القديمة، ولا سيما فى نصوصها الدينية ، ولكن الحصيلة النهائية ظلت فى جوهرها حصيلة غربية

ولقد تكون انساب جبران البعيدة انساب شرقية ولكنها كذلك باوسع معنى ، فان بحثنا عنها وجدنا انها مهما كانت شرقية فهي بالقطع ليست بالعربية فى قليل او كثير ، بل هي انساب عبرية وكنعانية وربما فارسية وهندية ايضا . فهذا الاسلوب الرمزي الذي اصطنعه لنفسه ، وجارى فيه غلاة الرومانسيين الغربيين يتسلسل فى بعض وجوهه من بعض اسفار التوراة كسفر الجامعة وسفر ايوب ونشيد الانشاد ومن بعض اصحاحات الانجيل واخصها ((موعظة الجبل)) وهي مصادر كلها عبرية وآرامية كما يتسلسل من ((افستا)) زرادشت ومن ((فيدا)) الهنود ومن اسفار الكنعانيين والفينيقيين .

ولكني اعود فاقول ان الرومانسية الغربية رغم تأثرها بأدب التوراة والانجيل وبالادب الفارسي والى حد ما بالادب العربي ظلت فى صميمها غربية الجوهر غربية السمات ، الا حيث يلتقي البشر بالبشر حول كليات الوجود والحياة فلا تميز فيهم شرقا ولا غربا . ولا اعرف ان لورد بيرون اصطنع شيئا شرقيا حين تناول مأساة قابيل وهابيل وانما دار فى المدار الانساني العام ، وبقيت صورة ادبه محدودة بتراثه الخاص .

واذا كان جبران قد وقف بعض الوقفات العبرية فى ظاهرها فهو قد وقفها من خلال الآداب الغربية التي تمثلها وانتج فيها .

انظر الى قوله :

((ووقف النبي بين الصخور واشجار الحور البيضاء محتجبا عن كل شيء ثم هتف قائلا :

ايه ايتها الضبابة ، يا اخت روحي ، ما انت الا انفاس ناصعة لم تستقر بعد على حال

اني اعود اليك انفاسا ناصعة بلا صوت

بل كلمة مكنونة لم ينطلق بها لسان

ايه ايتها الضبابة ، يا اخت روحي ، ذات الجناح ، لقد اجتمع شملنا الان

ولن يفرق شملنا احد حتى يوم آخر يكون للحياة .. الخ))

فقارىء هذا الكلام ما ان يقرأه حتى يذكر شعر شلي ، ولا يذكر شيئا آخر غير شعر شلي واضرابه من الرومانسيين الذين تأثر بهم جبران اعمق التأثر . ولا نعرف ان فى ادبنا العربي او فى آداب الشرق الاصيلة شيئا من هذا القبيل او جوا من هذا الجو الغائم الشفاف الذي تتراكم فيه الصخور على اشجار السرو (لا اشجار الحور كما اول الاستاذ الدكتور المترجم) بل ولا نظن ان فى الآداب الدينية ذاتها ما يوحي بهذا النوع من الشعور او التعبير .

وصور جبران اكثرها مشتق من ذلك الجو الشمالي الذي كان يعيش فيه بالفعل والوجدان . فهو يوصينا بأن نجلس مع العجائز ((فى ظل البلوطة العريقة)) وان نتبع خطى الشعراء ولو اقاموا ((وراء الانهار السبعة)) ، وادبه حافل بالجزر والغابات والبحار وحطابيها وملاحيها، ولا اعرف ان البلوط والبحار السبعة والغابات والحطابين والبحار والملاحين من الملامح القوية فى ادبنا العربي . وشعره يفيض بالكرم والخمر ، لا كرم النواسية وخمرها ، ولكن كرم الصوفية وخمرها ، وهي اشياء ليست وقفا على ادب دون ادب بل خطها طويل يمتد فى كل ادب من اقدم

العصور، ولا اغالي ان قلت ان الخمريات الالهية اكثر اصالة فى مجموعة الآداب الهندية الاوروبية منها فى المجموعة السامية ان جاز لنا هذا التعبير، ولعلها دخلت ادبنا العربي من طريق الادب الفارسي .

وليس يعرف لهذا الاسلوب نظير فى اللغة العربية خارج آثار الحلاج والنفري والسهروردي المقتول وعامة المتصوفة ولا سيما الحلوليين منهم. فان كنت مخطئا فارجو ان انبه الى خطئي بشيء فى عمود الشعر العربي او فى عمود النثر العربي الاصيل ، خارج ما ذكرت من نظائر ، يشـبـه كتاب جبران ، ولكننا حين نقرأ للحلاج : ((لو سقطت ذرة من قلبـي على الجحيم لاطفأته ولو سقطت ذرة من قلبي على الجنة لانارتها .. الخ)) او ما شابه ذلك ، او حين نقرأ ((المواقف والمكالمات)) للنفري وهـــو يخاطب العباب والريح وعناصر الطبيعة انما نحس باننا قد اقتربنا جدا من هذا الاسلوب النبوي الذي يتقمص فيه صاحبه شخص الموحى اليه باسرار الوجود فيلمح اكثر مما يصرح ويرمز فى الشعـر المنثور بـبـدائع الخيال والوجدان عن القيم الروحية العليا .

بل ان الشعر المنثور ذاته تراث لا وجود له فى الادب العربي خـارج ما ذكرت مـن تراث .

ومن يمعن النظر فى ((حديقة النبي)) يجد فيها مواضع محددة واضح فيها ان جبران يريد ان يقابل ((موعظة الجبل)) .

ولست ازعم ان جبران بالضرورة قد تاثر بكل هذه النصوص الدينية راسا او تاثر بها وحدها ، فليس فى علمي انه كان يقرأ كل هذه الآداب الدينية فى لغاتها الاصلية ، والمقطوع به انه كان يقرأ التوراة والانجيـل على الاقل باللغة الانكليزية ، وهي فى ترجمتها المعتمدة المعروفة بترجمة الملك جيمس تحافظ كل المحافظة على هذا الاسلوب الشعري المنثور الذي اثر عن بعض فصول التوراة والانجيل . وهناك ادلة لغوية يعرفهـــا المتخصصون فى الانكليزية وآدابها تدل على تاثره بهذا الكتاب المقدس .

ومع هذا فانا اقول بان جبران لم يأخذ هذا الاسلوب عـــن الادب الديني وحده وانما اخذه ايضا وقبل كل شيء عن التراث الرمـــزي الغربي المعروف الذي نجده فى آثار الشاعر الانكليزي بليك والشاعـــر الاميركي هويتمان والفيلسوف الالماني نيتشه الذي اقترب جدا من هذا الاسلوب فى كتابه ((هكذا قال زارادشت)) ، وقد اوضح الاستاذ الدكتور ثروت عكاشه هذا بافاضة فى مقدمة ترجمته لكتاب ((النبي)) . هـــذه ونظائرها هي الانساب الحقيقية ((لحديقة النبي)) ، و ((النبي)) ولعامة ما كتب جبران . ويخيل الي ، ولعلي اكون مخطئا ، ان جبران انما اراد بحديقته ان يعارض نيتشه كما يعارض الشعراء الشعراء وكما يعارض المفكرون المفكرين او ان يقف منه موقفا على اقل تقدير . وفى حديقة النبي فقرات كثيرة تذكرنا بادب بليك وفلسفته ، وفقرات كثيرة تذكرنـا بادب هويتمان وموقفه من الطبيعة ، اما الادلة اللغوية التي تربـــط اسلوبه باسلوب الشاعر شلي فهي اكثر من ان تحصى .

فهذا الاسلوب اذن اصيل فى آداب الغرب وليس مستعارا الا باوسع المعاني . فان كانت له بعض الجذور فى آداب اديان التوحيد كالانجيـل وبعض اسفار التوراة ، فهو قد تجدد فى آداب الغرب فى رومانسية بليك وشلي وهويتمان ونيتشه ، وهذه لها جذور آرية او جذور هندية اوروبية كما يقولون ، بل وفيها من الوثنية والمانوية شيء كثير . واحب ان اذكر من لا يذكر بان الحديقة الكبرى او الجنة التي وعد بها المتقون لم تكن وقفا علينا نحن الشرقيين . بل ولم تكن وقفا على امثالنا من الموحـدين فالوثنية اليونانية كانت لها حديقتها الكبرى او جنتها وهي ((هسبريدير)) والوثنية الرومانية كانت لها حديقتها الكبرى او جنتها وهي ((اليزيوم)) او ((الشانزليزيه)) او بكل بساطة جنة اوليس، والوثنية القوطية والنوردية كانت لها جنة آفالون التي نقرأ عنها وعن ((الفالهالا)) فى قصص الملك آرثر والروحانيات ليست حكرا لنا نحن الشرقيين وان كان فضلنا فيهـــا معروف لا ارى احدا يماري فيه

والاستاذ الدكتور ثروت عكاشه حين نقل ((حديقة النبي)) الى اللغـة العربية انما نقلها فى امانة لا يقدر عليها الا كل متمكن من لغتها الاصلية وهي الانجليزية ولقد يبدو لمن لم يتعود هذا الاسلوب الرومانسي انـــه خرج بالنص عن دلالاته الاصلية . والدليل على فهمه التام لمدلول النص انه اباح لنفسه ان يتصرف فيخرج عن الحرف السطحي ليحافظ عـلى دقائق المعنى . ولو انه كان لا يملك ناصية اللغة لنقل عبارته حرفا بحرف مخافة التعثر .

فهو مثلا يستعمل فعل الامر بدلا من استعمال المصدر كقوله : ((هيموا وراء الجمال)) بدلا من ((ان تهيموا وراء الجمال)) وقوله : ((كونوا حديقة غير ذات اسوار بدلا من ((ان تكونوا حديقة غير ذات اسوار)) وقولـه : ((عيشوا نهبا للسارق)) بدلا من ((ان تعيشوا نهبا للسارق)) ، وانا لا ارى الاستاذ المترجم قد تعدم حقوق المترجم فيما ابتكر من صيغة الامر او ان هذا الابتكار اضاع سرا من اسرار النص دفينا .

فالنص بكل بساطة يقول ان جوهر الوجود او الكينونة عند المصطفى، اي جوهر الحياة الحقيقية هو الهيمان وراء الجمال لان فى الجمـــال خلاصا ، وهو العيش كحديقة بلا اسوار يقطف الكل من ثمارها بلا حدود ، وهو الرضا بان نكون نهبا للسارقين لان كنوز الخير لا تنفد ، بهذا وحده نعيش فى حديقة الرضوان .

واذا كان الدكتور ثروت عكاشة يجعل نبي جبران يحضنا على الغفلة والرضا بالخديعة فهذا بالذات ما فعله مصطفى جبران دون حرج ، فهو حقا يحضنا على شيء ظاهره هو الغفلة والرضا بالخديعة ، وباطنه هو التسامح والغفران . والمسيح حين قال لتلاميذه فى ((موعظة الجبل)) : ((من طلب اليك رداءك فاعطه قميصك)) و ((من لطمك على خدك الايمن فحول له الايسر ايضا)) و ((من سخرك ميلا فامش معه ميلين)) والمسيح حيـن قال :((باركوا لاعنيكم)) و ((لا تقاوموا الشر بالشر)) انما كا نيدعو الناس الى شيء ظاهره هو الغفلة والرضا بالخديعة وباطنه هو التسامح والغفران . فاذا كان هذا كله هو سر الكينونة عند نبي جبران ، اي انك (لا تكون) ولا يكون لك كيان الا اذا اخذت بهذه المبادىء فمـن اوفـق التوفيق ان يعمد النبي فى ترجمة ثروت عكاشة الى مخاطبة تلاميذه بلغة الحض والحث قائلا كونوا كذا وكذا . وهو خير مائة مرة من قوله ((ان تكونوا كذا وكذا تكن لكم الكينونة)) .

بل اكاد اقول ان موعظة نبي جبران لا تترجم ترجمة اصيلة الا بطريقة ثروت عكاشة ، لانها نسج على ((موعظة الجبل)) .وهي دليل على ان الدكتور ثروت عكاشة لا يتقن الانكليزية فحسب بل ويحسها بوجدانه وهذا ما يجعلني اعتقد ان جبران انما اراد بكتابه هذا ان يعارض اخلاقيات نيتشه المناهضة للاخلاقيات المسيحية وان يجعل ((حديقة النبي)) بمثابة رد على ((هكذا قال زرادشت)) .

وغاية نبي جبران ان يوفق بين اخلاقيات الفن ، او اخلاقيـــــات ديونيزوس ملهم الفن فى اعمال نيتشه ، وبين الاخلاقيات المسيحيـة ، فيدحض كلام نيتشه فى اهم ركن من اركانه .

ولكن الاستاذ الدكتور المترجم كان ينبغي ان يبرز فكـرة اصيلة فى ((حديقة جبران)) وهي انها ((حديقة روحية)) من تلك الحدائق التـي كان يتجول فيها الاصفياء ويريدون لنا ان نتجول فيها .

وانما آخذ على الدكتور ثروت عكاشة عرضه التاريخي لفكرة الحديقة دون ان يتمهل طويلا امام فكرة الجنة فى خلد الصوفية سواء اكانت في السماء ام فى الطبيعة ام فى عقل الانسان ، وانه لم يقف امامها الوقفة الكافية . وليس هناك فى مقدمة الدكتور المترجم ما يمكن ان ننكره ولكن هناك ثمة اشياء نفتقدها فلا نجدها ، واكثرها محوره هذه الفكرة عـــن الحديقة بانها اورشليم الجديدة اذا جاز لنا ان نستخدم اصطلاح القديس ((اوغسطين)) او هي الجنة وارض الميعاد التي تختلف مفاتيحها باختلاف العقائد والفلسفات .

فلنقل اذن ان الدكتور ثروت عكاشة ترجم فاجاد الترجمة فى عامة مواضع « حديقة النبي » اجادة قلما نصادفها فى مترجم آخر . وان كنا لا نوافقه فى مواضع قليلة هنا وهنالك لا تمس الجوهر فى شيء ، مواضع قد ضللته فيها معاجمنا الانكليزية العربية الرديئة التي لا تعرف كيف تحقق اسماء الاشجار مثلا ، ومواضع يلتبس فيها المعنى لشدة غموضه .

واول مظهر من مظاهر هذه الاجادة انه حافظ على روح الكـــاتب وطابعه ، ايا كان رأينا فى هذه الروح وهذا الطابع ، بل ونقل اسلوبه الغريب هذا الى اللغة العربية رغم غرابته عليها ، فاطلع القارىء العربي على نمط فى الشعور والتفكير والتعبير لم نالف ان نراه فى غير التراث الرومانسي والتراث الرمزي كما نعرفه فى بليك وشلي وهويمان ونيتشه. وليس هذا مصادفة لان ثروت عكاشة فيما يبدو مفتتن بجبران افتتانـا قويا فتجاوب معه بحسه ووجدانه وخياله .

واني اذ احييه فلانه عنى عناية لا تتجاوزها عناية بهذا الكاتب الذي يعد فيما نعرف من اقرب كتابنا الى التراث العالمي .

وتحية اخرى للدكتور المترجم ، لما قام به من احياء للادب الرومانسي، عن طريق عنايته باعمال جبران خليل جبران .   (الاهرام)

القـاهرة

لويـس عوض



يناير ١٩٦١

١٩ ـ عينت الملكة اليزابيت الدكتور ٠١ م. راءمسي رئيس اساقفة يورك رئيسا لاساقفة كانتربري خلفا للدكتور جيوفري فيشر الذي سيستقيل فى مايو المقبل .

ـ رفضت امريكا اقتراح كمبوديا الداعي لعقد مؤتمر بين ١٤ دولة شرقية وغربية لوقف الحرب فى لاوس .

٢٠ ـ سافرت الملكة اليزابيت وقرينها دوق ادنبره فى رحلة الى الهند وباكستان ونيبال وايران .

ـ تم تنصيب كنيدي رئيسا للولايات المتحدة وهو الرئيس الـ ٣٥ .

ـ اعلنت الامم المتحدة ان انصار لومومبا فى ستانلي فيل اعتقلوا ١٢ بلجيكيا وذلك ثأرا لنقل زعيمهم الى كاتانغا وتسليمه الى اعدائه واتهموا الامم المتحدة بان لها ضلعا فى ذلك .

ـ سعت بريطانيا لكسب تأييد الروس لمشروع غربي فى مرحلتين لاعادة السلم الى لاوس .

٢١ ـ خففت القيود المفروضة على حركة نقل البضائع بين برلين الغربية والمانياالشرقية

ـ ادعت حكومة لاوس ان ثلاث كتائب من القوات الفيتنامية الشمالية عبرت الحدود فى جنوب لاوس ٠

ـ بدأ مجلس التضامن الاسيوي الافريقي دورة غير عادية فى القاهرة للاعراب عن التأييد لشعوب الجزائر والكونغو ولاوس وشجب التدخل فى هذه البلاد ٠

ـ اذاعت فرنسا تفاصيل الاجراءاتالجديدة التي قررها ديغول لاعطاء الجزائريين المزيد من السلطة الادارية فى ما سمي نوعا من الحكم الذاتي الداخلي.وقد تقرر انشاء ثلاثة مجالس استشارية فى الجزائر .

٢٢ ـ القى عبد الناصر فى مجلس الامة بيانا عن نتيجة مؤتمر الدار البيضاء وقال ان المؤتمر وضع اسرائيل وراء اسوار العزل فى افريقيا مثلما تم فى مؤتمر باندونغ عزل اسرائيل فى آسيا . واعلن ان الوقت قد حان ليطلب من مجلس الامة ان يتولى وضع الدستور الدائم للعربية المتحدة .

ـ وافقت امريكا على الاقتراح الذي عرضته بريطانياعلىروسيا لبعث لجنة الرقابة الدولية فى لاوس .

ـ اعلن همرشولد فى تقرير الى مجلس الامن فشله فى الوصول الى اتفاق مع حكومة جنوب افريقيا حول صيانة حقوق الانسان .

ـ رقي الكولونيل موبوتو الى رتبة جنرال وعين قائدا عاما للقوات الكونغولية .

ـ قدم مندوب يوغوسلافيا الى مجلس الامن رسالة استنكر فيها تسليم لومومبا وزميليه الى تشومبي وتعريضهم للتعذيب . وقال ان الهدف من تسليمه هو الحيلولة دون ايجاد مخرج للازمة القائمة فى الكونغو وانه كان على الامم المتحدة ان تتولى حماية لومومبا .

٢٤ ـ اعلنت تونس ان اربعة مدنيين قتلوا اثر قصف المدفعية الفرنسية فى الجزائر قرية تونسية قرب الحدود ٠

ـ طلب همرشولد فى رسالة الىكاسافوبو اعادة لومومبا من كاتنغا ٠

٢٥ ـ اعلن فرحات عباس فى جاكرتا خلال زيارته لاندونيسيا ان على فرنسا اخذ المبادرة لبدء المفاوضات الجزائرية . اننا مستعدون لحرب طويلة لاننا نعتقد بان الحكومة الفرنسية ليست مستعدة لدرس حل سلمي للمشكلة .

ـ دعا المقيم البريطاني فى دار السلام حزب زنجبار الوطني لتقديم مقترحات لتشكيل اول حكومة مسؤولة فى زنجبار .

ـ اعلن السكرتير العام لحكومة عدن موافقة بريطانيا علىاحداث نظام وزاري فى عدن .

٢٦ ـ اعلنكنيدي انقرار اطلاقسراحملاحي الطائرة رب ٤٧ اللذين كانا محتجزين فى الاتحاد السوفياتي منذ يوليو الماضي من شأنه ان يزيل عقبة خطيرة فى طريق تحسين العلاقات بين البلدين .

ـ اذاعت القوات المسلحة التي قامت بانقلاب يميني امس فى السلفادور بيانا قالت فيه انها سيطرت على السلفادور للعودة به الى الاوضاع الديموقراطية الصحيحة . وانه انشىء مجلس ادارة لتولي الحكم فى البلاد .

ـ ابلغ همرشولد مجلس الامن انه بعث بثلاث رسائل الى الجمهورية العربية والمغرب واندونيسيا يبلغها ان عمل المنظمة فى الكونغو معرض للتوقف اذا ما نفذت هذه الدول قرارها بسحب قواتها من الكونغو واذا توقف عمل الامم المتحدة نشبت حرب اهلية رهيبة .

٢٧ ـ وجه اسطول السفن والطائرات الاميركية التي تطارد الباخرة البرتغالية سانتا ماريا الهاربة منذ ٢٢ الشهر بعد اغتصابها قرب جزيرة ترينيداد بقيادة الكابتن هنريك غالفاو الذي اعلن الثورة ضد الحكم القائم فىالبرتغال طلبا الى غالفاو بانزال ركاب الباخرة فى مرفأ محايد .

ـ طلبت سبع دول محايدة انعقاد مجلسالامن لبحث التطورات فى الكونغو .

٢٨ ـ افتتح وزير خارجية تونس فى بيروت مؤتمر الدبلوماسيين التونسيين فى الدول العربية ٠

ـ اتهمت تونس المغرب بعدم تحضير حججه والتشاور مع الدول الصديقة قبل الاعتراض على قبول موريتانيا المستقلة فى الامم المتحدة٠ وجاءهذا الاتهام فى كتاب ابيض نشرتهالخارجية التونسية حول الخلافات بين البلدين .

ـ وصل مكميلان الى باريس لاجراء محادثات سرية مع ديغول تتناول المشكلات العالمية .

٣٠ ـ افتتح اجتماع وزراء الخارجية العرب في بغداد .

ـ اعلن كنيدي فى اول رسالة له للكونجرس ان علىالولايات المتحدة متابعةتسلحهاواستعدادها للطوارىء على ان تترقب كل فرصة من فرص احلال السلم ونزع السلاح وتنظر الى كل عرض صادق يقدمه الاتحاد السوفياتي .

ـ اعلنت القوات الدولية ان مدينة مانونو فى وسط كاتانغا قد ضربت بالقنابل من طائرة مجهولة .

٣١ ـ استقال بن غوريون رئيس الوزارة الاسرائيلية .

ـ تم تنصيب جانيو كوادروس رئيسالجمهورية البرازيل خلفا للرئيس جوسلينو كوبتيشيك.

ـ بدأت قوات الجمهورية العربية بمغادرة الكونغو وهي تعد ٤٩٨ جنديا .

ـ قدم بول هنري سباك الامين العام للحلف الاطلسي استقالته ، ليتزعم الحزب الاشتراكي البلجيكي فى الانتخابات المقبلة ٠

فبراير ١٩٦١

١ ـ انهى مؤتمر وزراء الخارجية العرب مناقشاته فى قضية الجزائر واذاع مقرراتهوهي تقضي بتقديم الاسلحة والمتطوعين والفنيين مع تأييد الدعوة الجزائرية للمفاوضة ٠ وتلقى المؤتمر برقية من امام اليمن يشير فيها الى وجوب اتفاق المؤتمرين على وقف حملات الشتائم فى الصحف والاذاعات ودفن كل اثر للماضي وتعبيد الطريق فعلا لمؤتمر اقطاب .

ـ اتهم موبوتو تشيكوسلوفاكيا والجمهورية العربية بمد انصار لومومبا بالاسلحة وقال ان حكومة الكونغو قدمت احتجاجا الى مجلس الامن على التدخل الاجنبي .

٢ ـ رست الباخرة البرتغالية سانتا ماريا فى ميناء رسيفه بالبرازيل لانزال الركاب وعددهم

٦٠٠ من مختلف الجنسيات بعد احتجازهم مدة ١٢ يوما ، وكانت تواكب الباخرة ثلاث مدمرات امريكية ومدمرة برازيلية وقبل قائد الباخرة انزال الركاب بعد محادثات اجراها مع الاميرال الامريكي الن سمث .

ـ طلب همرشولد من مجلس الامن سلطة اعادة تنظيم جيش الكونغو ومنعه من التدخل في التناحر السياسي بالبلاد . وقد قدمت سيلان مشروعا من ست نقاط لحل ازمة الكونغو منها اطلاق سراح لومومبا وحل الجيش ودعوة البرلمان وسحب القوات البلجيكية .

ـ سلمت المانيا الغربية الولايات المتحدة مشروعها لمساعدة ميزان المدفوعات الامريكي ويبلغ مجموع العرض مليار دولار .

٣ ـ وافق الكابتن البرتغالي الثائر هنريك غالفاو على تسليم الباخرة سانتاماريا للسلطات البرازيلية التي ستعيدها الى البرتغال .

ـ اتهم الجنرال موبوتو الامم المتحدة بمحاولة تجريد جيش الكونغو من السلاح وقال ان هذا معناه الحرب ولن نسمح بذلك مطلقا .

ـ كشفت الولايات المتحدة النقاب عن مشاورات تجريها مع دول اخرى بشان مصير لومومبا .

ـ اقترح وفد الجمهورية العربية في مؤتمر وزراء الخارجية العرب في بغداد عقد مؤتمر اقطاب للدول الاسيوية الافريقية على نمط مؤتمر باندونغ .

٤ ـ انهى مؤتمر وزراء الخارجية العرب في بغداد اعماله واذاع مقرراته . اتفق المؤتمرون على خطط موحدة لمواجهة مؤامرات اسرائيل ومعالجة سائر القضايا وعلى وقف حملات الصحف والاذاعة واستئناف العلاقات العربية المقطوعة . واعلن الدكتور محمود فوزي وزير خارجية الجمهورية العربية ان العلاقات قد تحسنت بين جميع الدول المشتركة في المؤتمر.

٥ ـ امر الملك حسين بوقف الرد على الحملات الاذاعية والصحف المناوئة للاردن .

٦ ـ صدر قرار بشان انتقال الاموال والقيم بين سورية والخارج وتنظيم عمليات مكتب القطع .

ـ قال راسك وزير الخارجية الامريكية ان خبراء نزع السلاح الامريكيين يدرسون احتمال اشراك الصين الشعبية في مشاريع نزع السلاح وحذر الاميركيين من الاستسلام للتفاؤل .

ـ تجددت الاضطرابات في لواندا عاصمة مستعمرة انغولا البرتغالية في افريقيا وربطت حكومة البرتغال هذه الاضطرابات بعملية استيلاء زعماء المعارضة البرتغالية على الباخرة سانتاماريا

٧ ـ وضع الجنرال موبوتو الجيش الكونغولي في حالة تاهب وامره بمنع القوات الدولية من استخدام بعض القواعد في ليوبولدفيل .

ـ اعلنت الحكومة البريطانية في المحكمة خلال محاكمة خمسة جواسيس ان منزلا في احدى ضواحي لندن كان يضم محطة اذاعة قوية تنقل اسرار البحرية البريطانية لموسكو .

٨ ـ قال كنيدي ان امريكا تعد اقتراحا جديدا للعمل في سبيل وضع حد للقتال في لاوس واشار الى وجوب اتخاذ خطوات لتخفيف حدة ازمتي الكونغو ولاوس حتى تصبح العلاقات السوفياتية الامريكية مثمرة كما يجب ان تكون .

ـ قابل محمد مصمودي وزير الانباء التونسي ديغول وتباحث معه في موضوع المقابلة المنتظرة بين بو رقيبة وديغول .

٩ ـ اعلن موسى ناصر وزير خارجية الاردن ان على العرب ان يعدوا انفسهم لمفاجآت كبيرة لان اسرائيل ستتمكن من الان حتى سنتين من الحصول على اسلحة ذرية .

ـ تم الجلاء عن القاعدة العسكرية الفرنسية في الدار البيضاء وفقا للاتفاقات الفرنسية المغربية التي عقدت سابقا .

ـ برز خلاف سياسي بين امريكا وبريطانيا فقد ردت وشنطن بعنف على تصريح لوزير الخارجية البريطانية اللورد هيوم يقول فيه ان الصين الشعبية يجب ان تنال مقعدا في الامم المتحدة.

ـ اطلقت طائرة فرنسية مقاتلة النار مرتين على طائرة تحمل ليونيد بريجنيف رئيس جمهوريات الاتحاد السوفياتي فوق البحر الابيض فيما كانت الطائرة في طريقها الى الرباط وقد قدمت روسيا مذكرة احتجاج شديدة لفرنسا .

ـ وصل اديناور الى باريس وبدأ محادثاته مع ديغول لازالة الخلاف بينهما بشان توثيق التعاون الاوروبي .

ـ شكل كاسافوبو حكومة جديدة في الكونغو برئاسة جوزف ايليو مكان حكومة المفوضين التي اعلنت اثر انقلاب الجنرال موبوتو .

١٠ ـ اعلنت حكومة كاتانغا ان لومومبا قد هرب ومعه اثنان من انصاره الليلة الماضية من المزرعة التي كانوا سجناء فيها غربي اليزابيتفيل

ـ اعلنت الخارجية الفرنسية ان السفير الفرنسي في موسكو قام بتقديم الاعتذار الى الحكومة السوفياتية كما بوشر اجراء التحقيق في حادث طائرة بريجنيف .

ـ وصل بو رقيبه الى زوريخ للراحة والمعالجة

١١ ـ وصل فيغو كامبمان رئيس حكومة الدنمرك الى وشنطن لاجراء محادثات مع كنيدي حول وضع امريكا الاقتصادي وتاثيره على اقتصاد الدنمرك .

ـ احتلت قوات كاتانغا بلدة موكولاكولو التي كانت في يد قبائل بالوبا . وقد نفت حكومة كاتانغا ان تكون قد دبرت فرار لومومبا لكي تغطي قتله . وقد طلب الاتحاد السوفياتي انعقاد مجلس الامن في جلسة سرية لمعرفة مصير لومومبا والبحث في امره .

ـ انتهت زيارة ليونيد بريجنيف رئيس الجمهوريات السوفياتية للرباط وغادرها الى كوناكري في غينيا . وقد صادفت زيارته عملية تسليم ١٤ طائرة ميغ الى المغرب من روسيا .

١٢ ـ اعلن الجنرال اياسو منفاشا رئيس اركان القوات الدولية في الكونغو انه سيسافر الى اليزابيتفيل للتحقيق في مصير لومومبا بطلب من همرشولد . وقد احدث اختفاء لومومبا قلقا في الاوساط العالمية التي تخشى ان يكون قتل .

١٣ ـ اعلنت حكومة كاتانغا ان باتريس لومومبا ومساعداه جوزف اوكيتو وزير الشباب وموريس امبولو نائب رئيس مجلس الشيوخ قد قتلوا . واجتمع مجلس الامن الدولي للنظر في الوضع الذي خلفه مصرع لومومبا .

١٤ ـ اعلنت الحكومة السوفياتية مقاطعتها لهمرشولد باعتباره مسؤولا عن مصرع لومومبا وطالبت باقالته من منصبه وبسحب القوات الدولية والاجنبية من الكونغو في مدة شهر ليتم لشعب الكونغو حرية تقرير مصيره . وبادانة بلجيكا وباعتقال تشومبي رئيس كاتانغا والجنرال موبوتو وتقديمهما للمحاكمة .

ـ اعترفت الجمهورية المتحدة بحكومة ستانلي فيل . اعلن انطوان جيزينغا رئيس حكومة ستانلي فيل انه لن يفعل في الوقت الحاضر ما من شانه ان يعرقل مساعي مجلس الامن لحل ازمة الكونغو . وصرح رئيس الوفد الامريكي في الامم المتحدة بان احداث الكونغو تهدد الامم المتحدة نفسها واكد تاييد امريكا لهمرشولد .

١٥ ـ قامت مظاهرات في مختلف انحاء العالم استنكارا لقتل لومومبا .

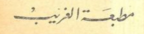
ـ ابلغت الصين الشعبية كمبوديا انها ليست ضد بعث لجنة المراقبة الدولية في لاوس ولكن شرط ان يسبق ذلك عقد مؤتمر دولي للبلدان المعنية .

١٦ ـ اعرب كنيدي عن قلق شديد من خطر التدخل من جانب واحد في الكونغو واعلن انه من واجب امريكا والدول الاعضاء في الامم المتحدة ان يقاوموا هذا التدخل . ووجه كنيدي نداء غير مباشر الى خروشوف ناشده فيه العمل ضمن اطار الامم المتحدة .

ـ استانف مجلس الامن مناقشة قضية الكونغو وقد اعلن ٧ اعضاء من اصل ١١ عضوا تاييدهم لهمرشولد وثقتهم به وبنزاهته .

ـ وافق البرلمان القبرصي على الانضمام الى الكومنولث البريطاني .

ـ بعث دايال ممثل همرشولد الخاص في الكونغو بمذكرة الى تشومبي يطلب فيها ان يسلم جثث لومومبا ومبولو واوكيتو الى ذويهم . وقد رفض تشومبي هذا الطلب .



بيروت ، شارع هوفلان ، ت ٢٤٦١٨٥